العقيدة الركنية
فى شرح لا إله إلا الله محمد رسول الله

ركن الدين عبيد الله بن محمد بن
عبد العزيز السمرقندي
(ت. ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م)

نشر ودراسة
مصطفى باجاقسيز

اسطنبول - ٢٠٢٣

THG
0789090
VGS

ISBN 978-605-7562-44-9
9 786057 562449

العقيدة الركنية
فى شرح لا إله إلا الله محمد رسول الله

◆

ركن الدين عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز السمرقندي

(ت. ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م)

نشر ودراسة
مصطفى باجاقسيز

اسطنبول - ٢٠٢٣

فهرس

[الباب الثاني]

[مسائل النبوات] / ٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

[المقدمة]

الحمدُ للهِ الظاهرِ وجودُهُ بشهادةِ الكائنات، الباطن كنهُ هويته لتعذّرِ معرفتهِ بالشواهدِ من العقولِ والسمعياتِ الطاهر مصابيحها من مشكاةِ النبوّاتِ. فالأنبياءُ الكرامُ والملائكة العظام كُلُّهُم حُيارَى في معرفةِ كنهِ ذاتهِ وكنهِ صفاتهِ العُلَى، وحقائقِ أسمائه الحسنَى. والصّلاةُ على نبيه المعترفِ بعجزه حتى قال: «لا أُحصي عليك ثناء».[1] وهو المفضّل على سكّان المظلّة الخضراء، وقاطنِ البسيطةِ الغبراء، محمدٍ خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه نجوم السّماء إلى يوم الدّين.

قال العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى عبيدُ الله عبد العزيز السمرقندي تغمّده سبحانه بجلابيب مغفرتهِ وأسكنهُ في مقعد الصدقِ بجوده ورحمته، إنّه الكريمُ المنّانُ في شرح لا إله إلا الله محمدٌ رسول اللهِ.

---

(١) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، مح. محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤ - ١٩٥٥)، الصلاة ٤٢، (رقم الحديث ٤٨٦).

فصل: [الإيمان]

الإيمانُ هو الشهادةُ بوجودِ الله وبكمالاتِهِ، والشهادةُ بنبوة محمّدٍ رسول الله، وبما نُقلَ منه بالتواتر عن تصدِيق وإيقان بلا ريبٍ وحسبان، وبما نُقل بالاشتهارِ بالطمأنينة، وبما نُقلَ بالآحادِ بشرائطها بغلبة الظنِ. والإيمانُ بمحمد رسول اللهِ إيمانٌ بجميع الأنبياءِ والمرسلينَ وإيمانٌ بجميع الكتب السماويةِ وإيمانٌ باليوم الآخر وما فيه. والإيمانُ بالله تعالى وكمالاته إيمانٌ بأنّ تقديرَ الكائنات خيرِها وشرِها منه. وقال النّبي صلى الله عليه وسلم في جواب جبريل عليه السلام حيث سألَ ما الإيمان؟ [قال:] «الإيمانُ، أن تؤمنَ بالله وملائكتهِ وكتبه ورسله واليوم الآخِر والقدرِ خيرهِ وشره من الله».[٢] فمَن شهدَ بالله وكمالاته وشهدَ بنبوة محمدٍ ورسالاته، فهو مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ بماهيتهِ. والإيمانُ بماهيّته لا يزيدُ ولا ينقصُ وإنْ كان بحسب صفاتهِ وأنواره يزدادُ وينتقص.

[فصل]: [إيمان المقلّد]

المقلّدُ مؤمنٌ في القول المختارِ وإنْ كان عاصياً بترك الاستدلالِ. لأنَّ ماهيةَ الإيمانِ قد وجُدتْ في حقّه عن تصديقٍ جازمٍ بلا ريبٍ. والشيءُ إذا وجدتْ ماهيتُه بكمالها كان موجودًا على الحقيقة فدخل تحتَ وعدِ الله المؤمنينَ بالرضوان والمثوبات، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾،[٣] الآية.

---

(٢) مسلم، الصحيح، الإيمان ١، (رقم الحديث ٨).

(٣) التوبة، ٩/٧٢.

فصل: [تفصيل الإيمان الإجمالي بالله ورسوله]

في تفصِيل هذا الإيمان الإجمالي بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، نقول: يجب الإيمانُ والاعتقادُ جزماً بلا ريب أنَّ جميعَ العوالم مخلوقةٌ لله تعالى، علوِيّاتها وسُفليّاتها، أعيانِها وأعراضها، إذ القِدَمُ من خَواصّ الألوهيةِ، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.(٤)

فصل: [العالم]

مجموعُ العالمِ متناهٍ بحسب الأجزاءِ والأقطارِ، ويُعرفُ ذلك بالبُرهانِ الخَطّي، وهو أنّا إذا فرضْنا خطّين غير متناهيينِ، ثم أسقطْنا من أحدِهما مقدارًا، فبعدَ ذلك إن بقيا متساويين في عَدَم التناهِي يكون الناقصُ وغير النّاقص سواءً، وإنّه محالٌ، وإنْ لم يبقيا متساويين، يكونُ الناقصُ متناهياً والزائدُ على المتناهِي بمقدارٍ متناهٍ، متناهٍ أيضًا بالضرورة.

فصل: [طرق العلم الكسبي للخلق منحصرة في الأقسام الثلاثة]

يجب الإيمانُ بأنَّ طرقَ العلم الكسبي للخلْق منحصرةٌ في الأقسام الثلاثة: الحواس السّليمةُ والخبرُ الصادقُ ونظرُ العقلِ. وأمّا منْ طلبَ العلمَ بالكهانة والتنجيم والرمل والطَّرقِ بالحصاةِ والمقلد، ونحوها، فيخبط خَبْطَ عَشْواء ولا يوثَقُ به.

---

(٤) الرعد،١٣/١٦.

فصل: [العلوم الضرورية لا تتوقف على الكسب]

العلومُ الضرورية الوجدانية كعلم المرءِ بوجودهِ وبتغيُّره بالجوع والعطشِ لا تتوقَّف على الكسب. وكذا العلومُ الحاصلة ببَدايةِ العقول، كعلمِ استحالةِ الاجتماعِ بين النّفي والإثباتِ، واستحالة الجوهرِ في زمنٍ واحدٍ في حيّزينِ، والعلمِ بأنّ كلَّ شيءٍ أعظمُ من جزئهِ ونحوها ضروريات لا كسبياتٌ. وكذا العلومُ الحاصلة بالإلهاماتِ الملكيةِ، والوارداتِ الربّانيّةِ والكشوفِ الصّادقة، والواقعاتِ الصافية في المناماتِ أو عندَ غلبةِ الذكر لخواصّ عبادِ الله تعالى، فتلك موهوبياتٌ بمحض فضل الله تعالى وعطائه لا تدخل تحتَ الكسب لكلّ واحدٍ.

فصل: [الإلهام]

إلهامُ النبي حجةٌ عليه وعلى غيره؛ لأنّه وحيٌ خفيٌّ في حقه. وإلهامُ الولي إذا عرفَ أنّه من الملك أو من الله تعالى حجّةٌ عليه، لا على غيره لأنه لم تثبت عصمتُه في حق غيره وإلهام غيرِ النبيّ والولي ليس بحجةٍ وليس بسبب علمٍ لأنّه لا يوثَقُ به، إذ الفرقُ بين الإلهام والهواجسِ النفسانيةِ والوساوسِ الشيطانيةِ عسيرٌ إلا على المراقبينَ من أولياء الله تعالى.

***

[الباب الأول]:
[مسائل الإلهيات]

فصل: [ما خلق الله تعالى مظهر لوجوده]

ومما يجبُ الإيمانُ به أن نعتقدَ أنّ ما خلق اللهُ تعالى من العوالم عُلويّاتها وسفلياتها ملكيّاتِها وملكوتيّاتها مظهَرٌ لوجودِ الله وكمالاته، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.(٥)

فصل: [الله واجب الوجود لذاته]

وممّا يجب الإيمانُ به أن نعتقدَ أنّ اللهَ واجبُ الوجودِ [لذاته]، إذ المذكوراتُ على ثلاثة أقسام: واجبُ الوجود لذاته، وممتنعُ الوجود لذاته وممكن الوجودِ والعدمِ لذاته. والدليلُ على الحصر أنَّ المذكورَ على قسمين: موجودٍ ومعدومٍ. والموجودُ لا يخلو إمّا أنْ كانَ جائزَ الفناءِ أو لا، فالثاني هو واجبُ الوجود لذاته، والأولُ هو الممكنُ لذاته. والمعدومُ لا يخلو إمّا أنْ يكونَ جائزَ الوجود أو لا، والثاني هو المحالُ لذاته كاجتماع النقيضين، والأولُ هو الممكن لذاته. والله سبحانه موجودٌ وإلا لم يوجدْ ممكنٌ ما. إذ بديهَةُ العقلِ تحكم بأنَّ ترجّحَ أحد طرفي الممكن على الآخر لا يتصوّرُ بدون

---

(٥) فصلت، ٥٣/٤١.

مرجح. والمرجح لو كان ممكناً لاحتاج إلى مرجّحٍ آخر في وجوده وبقائهِ. وحينئذٍ يلزمُ الدورُ والتسلسلُ، وإنهما محالان. فثبت أنّ الإلهَ خالقُ العالم، وأنّه واجبُ الوجود لذاته، قديمٌ أزلاً وأبدًا.

فصل: [الله منزه عن الحلول]

الله منزّهٌ عن الحلول في شيء وإنّه ليس بمتمكنٍ، لأنهما يقتضيان التغيّرَ. ووجوبُ الوجود ينافي التغيّرَ، وفيه خلافُ النصارى والمشبهةِ والحلولية من طوائف المتصوفة الزنادقة.

فصل: [الله ليس بعرض]

الله ليس بعرضٍ، لأنَّ العرضَ لا بقاءَ له، إذ قيامُ العرض بالعرض محالٌ. وقد ذكرنا أنَّ الله واجبُ الوجود، قديمٌ أزلا وأبدًا. ولأنَّ اللهَ غنيٌّ على الإطلاق. وقال في محكم تنزيله: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[٦]. والعرضُ مفتقرٌ إلى محلٍ يقومُ به. كذلك ليس بجوهرٍ فردٍ ولا جسمٍ. لأنَّ الله سبحانه منزهٌ عن وصفه بأنه ذرّةٌ حقيرةٌ أو أنّه جزءُ الشيءِ أو أنه مركّبٌ، إذ الجزءُ والتركّبُ من لوازم الحدوثِ. ومن قال: إنّه جوهرٌ أو جسمٌ بمعنى أنه قائمٌ بالذات، فقد كذبَ على الله، لأنّه لا يجوزُ إطلاقُ اسمٍ على الله إلا بإذن منه. ولهذا لا يقالُ لله يَا طبيبُ، ويَا فقيهُ ويَا معذِّبُ، وإنْ كان عالما بالتداوي والأحكام، وأنّه يعذّبُ الكفارَ وبعضَ العصاة لأنَّ الشرعَ لم يردْ بالإذن بإطلاقها على وجه القطعِ والشهرةِ.

---

(٦) محمد، ٤٧/٣٨.

فصل: [الله مخالف من المخلوقات]

الله مخالفٌ بذاته وبصفاته لذوات المخلوقاتِ وصفاتهم، ولا مشابهةَ بين القديم والمحدَثِ بوجه ما، وإلا يلزمُ حدوثُ الله من وجه او قِدَمُ المخلوقِ من وجه، واللازم مُنْتَفٍ. وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.[٧]

فصل: [ذات الله]

الله أحدٌ في ذاته واحدٌ في صفاته؛ لأنَّه لا تركّبَ ولا تجزُّؤَ في ذاته، إذ التركُّبُ والتجزّؤُ يستلزمُ الحدوثَ لما سبقَ. وقال الله تعالى في ردّ الكفّار حيثُ قالوا للنبيَ صلّى الله عليه وسلم: «اِنْسَبْ لنا ربّك أنّه من أي جوهر» من ذهب، أو فضة، أو نحاس، أو غيرها، كما أنّ الأصنامَ أصلُها من أحدِ هذه الأشياءِ. فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ﴾.[٨] وإنّه واحدٌ في الألوهيّة وسائرِ الصّفات، لأنّه صمدٌ، والصّمدُ هو الذي يستغني عمّا سواهُ، ويفتقرُ الكلُ إليه. فلو كان في الوجود إلهٌ آخر لا يخلو إمّا أنْ كان كاملاً في الكمالات اللّايقة بالإله أو لا. فإنْ كان الثّاني يلزمُ أنْ يكونَ ناقصاً، والإلهُ لا يكونُ ناقصاً لأنَّ الإلهَ هو الذي له الكمالاتُ برمتها. وإنْ كان الأولُ يلزمُ أن يكونَ كلُ واحدٍ مستغنياً عن الآخر فلم يكن لكل واحدٍ صفةُ الصمديّة. وإذا كانَ صمداً، فلم يَلِدْ من أحدٍ ولم يولدْ منه أحدٌ، لأنّهما يستلزمان الحاجةَ

---

(٧) الشورى، ١١/٤٢.

(٨) الإخلاص، ١/١١٢.

والتجزُؤَ والشهوةَ. وكذا إذا كان صمدًا لم يكن له كفوًا أحدٌ، لأنَّ في الكَفاَءَةِ والمشابهةِ يلزمُ حدوثُ القديم من وجهٍ، أو قِدَمُ المَخلوقِ من وجه؛ والحدوثُ يوجبُ النقصانَ، والقِدَمُ يوجبُ الاستغناءَ، وكلاهما يُنَافِيان الصمديّةَ.

فصل: [التوحيد الكامل]

التوحيدُ الكاملُ للعبد إنّمَا يحصُلُ إذا تبرّأَ عن الإشراكِ في الألوهيّةِ، كما هو مذهبُ المجوسِ وعابدِي الأوثَان، وعن الإشْراك في الصّفة الإلهيّةِ كما هو مذهبُ المعتزلةِ في خلْق الأفعالِ، ومذهبُ الفلسفي في قِدَمِ الأفلاكِ والعقولِ، ومذهبُ المنجّمةِ في كوْن الكواكب السّبعةِ آلهةً مدبرةً وعن الرياء في العبادات لجرّ منفعةٍ أو دفعِ مَضَرَّةٍ، وعن الاعتمادِ على مخلوقٍ في جلبِ نفعٍ أو دفعِ ضرَرٍ أو قصْرِ نظره واعتماده على الأسبابِ ولم يعتمدْ على مُسبّبِ الأسبابِ وتبرّأَ عن قوله: لولا فلانٌ لهلكْتُ، وما يجرِي مجراهُ. فالأولُ شركٌ كفرٌ، والثاني شركٌ بدعةٌ، والباقي من الأقسام شركُ معصيةٍ وهو المسمّى بالشِرك الخَفِيّ. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْداءِ فِي اللَّيْلَةِ الظلماء على الصَّخْرَةِ الصمّاءِ».[٩]

---

(٩) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مح. مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ – ١٩٩٠)، ٣١٩/٢، (رقم الحديث ٣١٤٨).

فصل: [الله ليس بمتحيز]

اللهُ تعالى ليس بمُتَحَيّزٍ؛ إذ المتحيّزُ ما يمكنُ الإشارةُ إليه إشارةً حسيةً بأنَّه هنا أو هناك ولو فرضَ مثْلهُ يقع في جهته لا في حَيّزِهِ، وكلاهما من خَواصّ الأجسامِ والجَواهرِ.

فصل: [الله ليس في جهة من جهات العالم]

اللهُ ليس بداخل العالمِ، ولا بخارجِ العالمِ ولا هو في جهةٍ من جهاتِ العالم، لأنّها تقْتضِي التناهِيَ وهو من أمارات الحَدَثِ. ونفيُهُ عن جميع الجهاتِ لا يستلزمُ عدمه، لأنَّه استحالَ في حق الله تعالى الجهةَ والتحيّزَ والحيثيَةَ. ونفي الجهاتِ جميعًا إنّما يقتضي العدمَ إذا كان متحيّزًا له حيثيّةٌ، ويكون معه متحيّزٌ آخرُ، فيكون كلُّ واحدٍ في جهة الآخر بالضرورة. أَلَا يرى أنّ من نفى نفسَهُ عن جهاته السِتّ يصح ولا يقتضي عدمه، لأنّه يستحيلُ أن يكونَ هو في جهة نفسِهِ.

فصل: [الأرواح البشرية متحيّزة]

قال الغزاليُّ وجميعُ الفلاسفةِ: الأرواحُ البشريَّةُ ليستْ بمتحيزةٍ ولا بجهةٍ من العالم. وإنّها ليست بداخلةٍ في أبدانِها ولا بخارجةٍ عن أبدانها. وقالت الفلاسفةُ: الملائكةُ ليسوا بمتحيّزين. وقال أهلُ السنّةِ والجماعةِ: الأرواحُ أجسامٌ متحيّزةٌ، وكذا الملائكةُ ويدلُّ على صحّةِ قولهِمْ، قول الله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[10] الآية، وقوله:

---

[10] النازعات، ٧٩/١-٥.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾.[١١] والأنبياءُ عليهم السلامُ أخْبَروا أنّ الملائكةَ سكّانُ السماواتِ، والدلائلُ المشاهدةُ لنا متكاثرةٌ. الشيخ أحمد الغزالي ردّ ذلك على أخيه، وقد ذكره في كتاب سراج العقول في أصول الدين.

فصل: [العرض ليس بمتحيّز]

العرضُ ليس بمتحيّزٍ؛ لأنّ وجودَ المتحيّزين في حيّزٍ واحدٍ في زمنٍ واحدٍ محالٌ. وقد عرفْنا وجودَ أعراضٍ قائمةٍ بجزءٍ واحدٍ، فإنَّ جزءًا من السكر قائم به الحلاوة، والبياض، والتركُّب، واليبوسة، والتمكُّنُ، والحركة، والسّكون، والصّلابة.

فصل: [قلب الحقائق لا يجوز]

قلبُ الحقائقِ لا يجوزُ؛ أعني لا يجوز أنْ يصيرَ الممكنُ لذاته محالاً لذاته أو واجبًا لذاته، وكذا على العكس؛ ولكنْ يجوزُ أنْ يصِيرَ الجمادُ حيوانًا وعلى العكس، ويجوزُ أنْ يصيرَ العرضُ جسمًا لأنَّه صحّ في الأخبار أنّ أعمالَ بني آدم تصِيرُ في الآخرة صورًا حِسانًا أو قِباحاً. فيجب الإيمانُ بأنَّ جميعَ أجزاء العالم ممكنٌ لذاته أزلاً وأبدًا، والله سبحانه واجبُ الوجود لذاته أزلاً وأبدًا.

ونعتقدُ أنَّ العالمَ في الأزل ممكنٌ لذاته محالٌ وجودهُ في الأزل، وافتقارُنا إلى الله ممكنٌ لذاته واجبٌ لغيرِه.

---

(١١) الحجر، ٢٩/١٥.

فصل: [الله سابق على وجود العالم]

وممَّا يجب الإيمانُ به أنْ نعتقدَ أنَّ اللهَ سابقٌ على وجود العالمِ بذاته وصفاته وأسمائه سَبْقَ ذاتٍ وحقيقةٍ لا سبقَ زمانٍ ولا سبق علّيةٍ ولا سبقَ جزءٍ على كلِّه لأنَّ اللهَ بذاته وأسمائه وصفاته قديمٌ أزليٌّ، وغيره حادثٌ مسبوقُ العَدَمِ.

فصل: [الآيات المتشابهة]

عند السلف من المشايخ يَجِبُ الإيمانُ بالآيات المتشابهة والأخبارِ المتشابهة، وبأنَّ ما أراد اللهُ ورسولهُ منها فهو الحقُّ مع الجزم في الاعتقاد بأنَّ اللهَ لا يُشبهُهُ شيءٌ بوجهٍ من الوجوه؛ والوقف واجبٌ على قول الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[١٢] لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اِعْمَلُوا بمُحْكَمِهِ وآمِنُوا مُتَشَابِهَهُ».[١٣]

فصل: [وجود الله عين ذاته]

وجودُ الله عينُ ذاته وكذا وجودُ كلّ مخلوقٍ، لأنّ قيامَ الوجودِ بالمعدوم محالٌ.

---

[١٢] آل عمران، ٣/٧.

[١٣] أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، المعجم الكبير، مح. حمدي عبد المجيد السلفي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية)، ٩/٢٦، (رقم الحديث ٨٢٩٦).

فصل: [المعدوم]

المعدوم ليس بشيءٍ ولا بماهيةٍ عند أهلِ السّنة، لأنّه نفي محض، وقال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾،[١٤] وكذا المعدومُ ليس بمراد الله تعالى لقول جميعِ الأنبياءِ والمرسلين من الأمم في الأذكار الإلهيّةِ: «مَا شَاءَ اللهُ كَانَ ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»، وكذا المعدوم ليس بمَرْئِيّ، إذ الوجود من لوازمِ الرؤية، قال الله تعالى: ﴿إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾.[١٥] وقد قال أهل التأويل: إِلّا لنرى لأنَّ علمَه أزليٌّ محيطٌ للمعدوماتِ والموجودات، ورؤيتُه لمذكورٍ لا يكونُ إلاّ بعدَ وجودهِ وإنْ كانتْ صفةُ رؤيتهِ أزليةً أبديةً كالإرادة فإنَّها أزليةٌ وإنْ كانت مراداتها حادثةٌ.

فصل: [الغرض من خلق العالم]

يجب الإيمان بأنَّ اللهَ لم يخلق العالمَ للعبثِ أو الفناءِ، بل خَلَقَهُ للتكليفِ والابتلاء ليظهرَ آثارَ عدْله وفضله وقهره ورحمته، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١٦]، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.[١٧] قيلَ لإظهار الحقّ، وحروف الجرّ تُبدّل بعضُها من بعض.

---

[١٤] مريم، ٩/١٩.

[١٥] البقرة، ١٤٣/٢.

[١٦] المؤمنون، ١١٥/٢٣.

[١٧] الأحقاف، ٣/٤٦.

فصل: [صفات الله]

مذهبُ أهلِ الحقِّ، أنَّ لله صفاتٍ تلِيقُ بجلالهِ مقدّسةً عن مشابهة المخلوقاتِ، لأنّ المعطى الكمالات لا يكون عاطلاً عن الكمالات، ولأن الناقصَ لا يصلح إلهاً. فالفلاسفةُ المعطلةُ أرادوا معرفةَ هويّته بعقولهم البتراء من غير متابعَة الأنبياء عليهم السلام فوقعوا في تيهِ الحيْرةِ والضّلالةِ والمشبِّهَةُ الحشوِيَّة اقتنعوا بظواهر الآياتِ المتشابهةِ، وأخبارِ الآحادِ المتشابهةِ، ولم يتعلّقوا بالعقل الصَّافِي فتخيّلوا معبودًا جسمانيًا شبيهًا للمخلوقِ، فعَبَدُوا غيرَ الله في الحقيقة، وأنكروا الإلهَ الحقيقيّ الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.[١٨] ودينُ الله بين الغلوّ والتقصيرِ. والحقَّ إتْباعُ العقلِ والشرع مع الاستعانة بالله الهادي الرحيمِ. والدليلُ العقليُّ محكمٌ، وكذا الآيات والأخبار الدالة على تقدُّسه عن المشابهة وسمات الحدَثِ محكمةُ ودلائلُ المشبِّهة من الآيات والأخبار محتملةُ التأويل، فنرجّح المحكمَ عليها ونؤمن بها بلا تأويلٍ، أو نؤوّلها تأويلاً يوافقُ المحكماتِ.

فصل: [معرفة فطرية]

الرُّوح الناطقة الروحانية لها معرفةٌ فطريةٌ بالله ولها توحيدٌ أمانةً من الله الحاصلات يومَ الميثاق. قال الله تعالى لكلّ البشر: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[١٩] وقال الله تعالى [في الحديث القدسي]: «خَلَقْتُ

---

[١٨] الشورى، ١١/٤٢.

[١٩] الأعراف، ١٧٢/٧.

عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاحْتَالَتَهُمْ الشَّيَاطِينُ»،[٢٠] أي صَرَفَتْهُم.

فصل: [معرفة الله]

قال أهل السّنة: أوّلُ الفرض على العقلاء معرفةُ الله بأنّه واجبُ الوجودِ، قديمٌ، خالقُ الكائنات برمتها، عُلويّها وسُفليّها، مَلِكيّها وملكوتيُها. وليس للخلق إلهٌ غيره، وما سِوَى الله حادثٌ، وهو المبدئ والمعيد، والأوّلُ الفردُ بلا بداية، والآخِر الأبديُّ بلا نهاية؛ لا تُدركه الأبصارُ وهو يُدركُ الأبصارَ، ولا تَلْحقُهُ الأفكارُ، وليس لله مثلٌ ولا مثالٌ ولا يُتخيّل ولا يُتوهّم ولا يُحَسُّ، وإنّه مرْئيٌ بلا كيفٍ ولا إحساسٍ فلا يصحُّ أنْ يقال: إنه محسوسٌ، إذ الإحساس يقتضي النهايةَ والإدراكَ ولا تُعرَفُ ذاتُه ولا صفةٌ من صفاته بالقياس لأنَّه يقتضِي التشبيهَ، وإنّه منزّهٌ عن الضِدِ والنِدّ، وإنّه الظاهرُ بحسب الآيات والدلائل، وإنّه الباطنُ لا يُدرك كنهُ ذاته. وهو بكُلّ حادثٍ عليمٌ جزئيًا كان أو كليًا، وإنّه قادرٌ على كلّ الممكنات موجوداتِها ومعدوماتِها؛ والمحالاتُ لذواتها والواجبُ الوجود لذاته لا يدخلان تحتَ القدرة لِعَدَمِ المحليّةِ للقدرة لا لعجزِ الله تعالى. فلا يُوصَفُ اللهُ بالقدرة على خلق مثلِه، ولا على الجَمْعِ بين الضِدَّين في محلّ واحدٍ بجهةٍ واحدةٍ وغيرِها من المحالات. وذاتهُ وصفاته ليستا بمقدورتَين، إذ وجوب الوجود لذاتهِ تُنافي المقدوريّةَ. ولله تعالى صفاتٌ وأسماءٌ لا تُحْصَى من الأزل إلى الأبد، ولا يصحّ قولُ مَنْ قال إنَّ لله سبعَ صفاتٍ على الحقيقة، والباقي من النسبيات وتلك السبعُ: الحياةُ،

---

[٢٠] مسلم، الصحيح، الجنة ١٦، (رقم الحديث ٢٨٦٥).

والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والفعل، لقول النبي عليه السلام: «إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اِسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».[٢١] وليس مرادُه عليه السلام مِنْ هذا حصرُ أسماء اللهِ في تسعةٍ وتسعينَ، لأنَّ أسماءَ الله وصفاته لا تتناهي، بل المرادُ أنّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا خاصيتها وفائدتها في حقّ مَنْ عَلِمَها واعتقدَ حَقّيَتَها دَخَلَ الجنّةَ. وقال عليه السلام: «[اَللَّهُمَّ إنّي] أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اِسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اِسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ».[٢٢]

فصل: [صفات الله ليست عين ذاته ولا غيره]

صفاتُ الله ليستْ عينَ ذاتِه كَمَا قالتْ المعتزلةُ، ولا غيرَهُ كما قالت الكراميةُ، بل ليست عينَ الذات ولا غيرَه؛ إذ لو كانت عينَ الذات يلزمُ كونُ صفاته اللامتناهيةِ شيئًا واحدًا، وإنّ قولَنا: الله خالق، بارئ، مصوّر، رحمن، رحيم، بمنزلة قولنا: الله ذات ذات ذات، وإنّه يُنافي الثناء الجميل، ولو كانت غيرَ الذات يلزمُ إمكانُ تحقّق الصفات بدُون الذات أو على العكس، إذ حدُّ الغيرَين موجودان يتصوّر وجود أحدهما بدون الآخَر.

---

[٢١] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الصحيح، مح. مصطفى ديب البغا، (دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤ - ١٩٩٣)، التوحيد ١٢، (رقم الحديث ٦٩٥٧).

[٢٢] الإمام أحمد بن حنبل، المسند، مح. شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١- ٢٠٠١)، ٣٤١/٧ (رقم الحديث ٤٣١٨).

فصل: [اسم الله لم يكن مشتقا]

اسم الله إذا لم يكنْ مشتقاً، مفهومهُ عينُ ذاته، كاسم الذات والموجودِ والشيءِ؛ واسم الله في القول المختارِ ليس بمشتق، وما كان مشتقًا

كالرحمن والرحيم اختلفوا فيه، والقول المختار أنَّ مفهومَه لا هو ولا غيرُه، لأنّ كل اسم منه له كمال خاصٌ، تأمّلْ، تَفهمْ.

فصل: [الله خالق من الأزل إلى الأبد]

الله خالقٌ من الأزل إلى الأبد؛ ولا يَتوقّفُ خالقيّتُه على وجود المخلوق؛ وكذا في جميع صفاته المؤثِّرةِ وغيرِ المؤثِّرةِ. قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾،[٢٣] وصف ذاتَه بأنّهُ مالكُ يومِ الدين وإنْ كان يومُ الدّين معدومًا في الحال، وكذا وصف ذاتَه في الأزل بأنّه ربُّ العالمين وخالقُ كُلِّ شيء. وقالت الأشعريّةُ والمعتزلة: صفات الله تعالى صفاتُ ذاتٍ وصفاتُ فعلٍ؛ فالأوّلُ قديمٌ والثاني حادثٌ، وإنّه خطأٌ يردّه العقلُ والنقل.

فصل: [الحلول]

الحلول محالٌ في حقِّ الله خلافًا لبعض النصارى وبعض المتصوّفة الجَهلة، لأنَّ حلولَ ذات الله في مخلوقٍ يستلزمُ التمكّنَ والتغيُّرَ والنهايةَ والحاجةَ؛ ووجوبُ الوجود لذاته والقِدَمُ والقدسُ والغناءُ ممّا ينافيها.

---

(٢٣) الفاتحة، ١/٤.

فصل: [القرآن كلام الله على الحقيقة]

القرآنُ الحقيقيُّ كلامُ الله على الحقيقة وهو صفةٌ قائمة بذات الله ينافي الخرسَ والسكوتَ، وإنّه ليس بحرف ولا بصوت وإنه أزليٌّ وأبديّ واحدٌ، والله متكلّمٌ بذلك الكلام. والكتب السماوية أدلّةٌ على تلك الحقيقة الأزلية. وحقيقة كلام الله واحدٌ، ولو نَزَلَ من دلائل ذلك الكلام ألف ألف مجلّدة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ﴾،(٢٤) الآية. وقالت الحنابلة: حقيقة كلام الله هذا المكتوبُ في المصَاحِف واللّوحِ، والمقروءُ بالألسنة وإنّه قديمٌ، وهو ظاهرُ البطلان لأنَّ المكتوبَ في اللّوح أو في المصحف والملفوظَ بألسنة العباد يستحيلُ أنْ يوجدَ بدون اللّوح والمصحف واللافظ، وهذه المَحَالُّ كلُّها مخلوقةٌ بالإجماع، فيكونُ الحالُّ فيها مخلوقاً أيضًا بالضرورة. وقالت المعتزلة: كلام الله هذا المكتوبُ وهذا الملفوظ بألسنة القرّاء وإنّه حادثٌ؛ وأنكروا قيامَ صفة الكلام بذات الله. وهذا المذهب أيضًا باطلٌ، لأنّ الكلامَ لو كان مخلوقًا لكان اللهُ في الأزل متَعَرّيًا عنه، فذلك التعرّي لو كان لذات الله أو لمعنى قديمٍ للزم استحالةُ وصف الله بكونه متكلّمًا أصلاً، وإلّا يلزم الجمعُ بين المتنافيَين. وحينئذٍ يلزم رفعُ الشرائع بأسرها ولم يبق خطابٌ موجبٌ ولا محرّمٌ؛ وحينئذ يرتفعُ الابتلاءُ، واللّازم مُنْتَفٍ، فيلزمُ انتفاءُ الملزوم وهو حدوثُ كلام الله. وقالت الكرامية: كلام الله حادثٌ في ذاته كما قالوا في التكوين والإرادة، وإنّه باطلٌ أيضًا، إذ فيه التغيّرُ في ذات

---

(٢٤) لقمان، ٢٧/٣١.

الله تعالى وكونُه محلّ الحوادث، وإنّه ينافي القِدَمَ. وقالت الفلاسفة: ليس لله كلامٌ لأنَّه واحدٌ حقيقيٌّ؛ وإنّه باطلٌ، لأنَّ مَنْ أَنْكر كلامَ الله فقد رفعَ الشرائعَ بأسرها وأبطَلَ الأمرَ والنهْيَ والطاعة والمعصية، وإنّه كفرٌ.

فصل: [هل يجوز سماع كلام الله]

اختلفَ العلماء والعرفاء أنّ حقيقةَ كلامِ الله هل يجوز أن يسمعَه بعضُ خواص عباده بلا واسطة حرفٍ ولا صوت، قال إمام الهدى أبو منصور الماتريدي: لا يجوز لأنّ الصوتَ من لوازم السماعِ في الشاهد والغائبِ، فقال الفقيه أبوالليث وأبو يحيى البُشاغري مصنّف كتاب عصمة الأنبياء عليهم السلام والمحقّقون من الصوفيّة: كلام الله يُسمَع على الحقيقة لا على العادةِ الجارية تكريماً من الله لبعض عبادِه لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[٢٥] أكّده بالمصدر، والتأكيدُ بيانُ تقريرِ الحقيقة.

فصل: [التكوين]

التكوين صفةُ اللهِ قديمةٌ أزليةٌ أبديّةٌ، والمكوّنات حادثةٌ في أوقاتها به. وقالت الأشعرية وبعض المعتزلة: التكوين عينُ المكوّن وإنّه حادثٌ، وإنُّه باطلٌ لِمَا سَبَقَ من الدلائل الدالة على أزلية الله وصفاته وأسمائهِ.

---

[٢٥] النساء، ٤/١٦٤.

فصل: [وجود العالم بإيجاد]

وقال فخرالدين الرازي: وجودُ العالمِ بقدرة الله لا بالتكوين. وقالت الأشعرية: وجود العالم بخطاب «كُنْ»، وعندنا وجودُ العالم بإيجاد الله، والقدرة من شرائطه كالعلم. وخطاب «كُنْ» كنايةٌ عن سُرْعَةِ الإيجاد، وتعالى الله عن اللغوب والتعب، إذ الخطاب الحقيقيُّ للمعدُوم لا يجوزُ، وهو اختيار إمام الهدى وكثيرٍ من مشايخنا. وقال القاضي أبوزيد وشمس الأئمة السرخسي وفخر الإسلام البزدوي: وجود العالم بإيجاد الله، وخطاب [كُنْ] للإيجاد للمعدومات حقيقيٌّ لإظهار كمالِ قدرته، وإنَّه سنّةٌ إلهيّةٌ عند إيجاد كلِّ ممكن عندهم.

فصل: [صفة الإرادة]

الله مريدٌ أزلاً وأبدًا بإرادة قديمةٍ قائمة بذاته أزلا وأبدا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾،[٢٦] وقال: ﴿وإِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾،[٢٧] الآية. ومن حيثُ العقل نقول: إن اللهَ خَلَقَ العالمَ مظهرًا ومرآة لتَعْرِفَ العقولُ ويرى بمرآة العالم ذات الله تعالى وكمالاته؛ والله أَمَرَنا بالتفكّر في خلق السماوات والأرض، وآيات الأنفس والآفاق لِنَعْرِفَ كمالاتِ الله تعالى ونُقرّ بها ونصفه بها. فنقول حدوث الوَرْدِ مثلا من شجرة هو من آيات الآفاق يدلُّنا وينطق بلسان الحال أنّ له مُحدِثًا أحدثه، إذ تَرَجُّحُ أحدِ طَرَفَيِ الممكن من العدم

---

(٢٦) المائدة، ١/٥.

(٢٧) الزمر، ٣٨/٣٩.

إلى الوجود لا يكون بدون مُحْدِثٍ، وقد عُرِفَ ذلك ببداءة العُقُول، وحسن صورته ورائحته اللطيفة يدلّنا على سعة جوده ورحمته لأنَّ الوردَ ليس من ضرورات حاجات الإنسان -هو المقصودُ من خلْقِ العالمِ-، واختصاصُهُ بوجهٍ دون وجهٍ في الكمِّيَّةِ والكيفيّة في وقت الربيع يدلّنا على أنّ الله تعالى مريدٌ، إذ الإرادةُ صفةٌ تقتضي تخصيصَ المفعولات بوجهٍ دون وجه ووقت دون وقتٍ، إذ لوْلَا الإرادةُ لوقعتْ المفعولاتُ كلها في وقت واحد على هيئةٍ واحدةٍ.

فصل: [صفة البقاء]

الله تعالى باقٍ؛ والبقاءُ صفةٌ وجوديةٌ قائمة بذات الله بخلاف الوجود، فإنّه عينُ ذاته على ما تقدّم. وبقاءُ الله وكلُّ صفة من صفاته باقٍ ببقاء هو عينُ الباقي من عين الصفات، لأنَّ قيام المعنى بالمعنى محالٌ.

فصل: [صفة السمع والبصر]

السمع والبصر معنيَان وراءَ علمِ الله لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾،[٢٨] وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[٢٩]

فصل: [صانع العالم حكيم]

صانع العالم حكيمٌ لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾،[٣٠] ولأنَّ الحكمةَ وَضْعُ كلِّ شيء في موضعه على ما يليق به

---

(٢٨) المائدة، ٧٦/٥.

(٢٩) الشورى، ١١/٤٢.

(٣٠) يوسف، ٨٣/١٢.

وضدّه السفهُ، والله منزّهٌ عن السفه وعن كل نقيصةٍ.

فصل: [الله عالم بالكليات والجزئيات]

الله عالمٌ بالكليّات والجزئيّات لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرةٍ﴾،[٣١] وقال ابن سينا الفلسفيُّ: الله عالمٌ بالجزئيّات على الوجه الكلّي لا على الوجه الجزْئيّ، وإنّه باطلٌ، إذ الجهل محالٌ في حقّ الله مطلقا، ومزلةُ قدمهم اعتقادُهم أنّ الكلياتِ قديمةٌ لا تتغيّرُ والجزئياتِ حادثةٌ تتغيّرُ، ويلزمُ من تَغَيُّر المعلومِ تَغيُّر العلم. والحقّ أن الكليّات والجزئيّات حادثةٌ، ولا يلزم من تَغَيّر المعلوم تغيّر العلم كالإرادة والتخليق والبصر.

فصل: [معلومات الله ومقدوراته غير متناهية]

معلومات الله ومقدوراته غيرُ متناهية؛ والمراد من ذلك أنَّ معلومات الله ومقدوراته لا تبلغُ إلى حدٍّ لا يعلم اللهُ بعد ذلك، أو لا يَقْدِرُ بعد ذلك كما في الخلق، فإنّ معلوماتنا ومقدوراتنا محصُورةٌ، والجهْل والعجز علينا يجوزُ، والله تعالى منزهٌ عن الجهل والعجز.

فصل: [لا يجوز أن يوصف الله بالقدرة على المحالات]

لا يجوز أنْ يُوصفَ اللهُ بالقدرة على الظلْم والكذْب؛ لأنهما من المحالات؛ وعند المعتزلة أنّه قادرٌ عليهما، ولكن لا يفعل، وإنه خطأٌ.

---

[٣١] يونس، ٦١/١٠.

فصل: [هل يجوز تكليف ما لا يطاق]

لا يكلّفُ الله عبداً من عبيده بما ليس في وُسْعِهِ ابتلاءً بحيث لو أتى به يُثابُ ولو تَرَكَ يُعاقبُ، لأنّه خارجٌ عن الحكمة. والله مَدَحَ ذاتَهُ بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾،[٣٢] وما فيه التمدّحُ زوالُهُ محالٌ. وقال الأشعري: يجوز أنْ يكلّفَ به ولكن لا يفعل. وقال فخر الدّين الرازي: تكليفُ ما لا يُطاقُ واقعٌ، وإنّه خلافُ النّصّ والإجماع.

فصل: [إيلام البريء]

إيلام البريء من الجناية يجوزُ بالإجماع، والتعذيب بغير جناية لا يجوز عندنا، خلافاً للأشعرية، لأنّه ظلمٌ. لأنّ الظلم هو التصرُّف في مِلْكِ الغير تعديا أو في مِلْك نفسه بخلاف قانون الحكمة عقلاً وشرعًا؛ ومِصداق ما ذكرنا قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾،[٣٣] وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾،[٣٤] قُرِئَ بكسر التّاء وسكونها. والإيلام يكون إمّا ابتلاءً لازدياد الدرجات كما في حقّ النبيّ والوليّ، والطفل الذي يموت على الفطْرة وفي العَجْمَاوَات لِابتلاءِ أرْبَابها، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

---

(٣٢) البقرة، ٢/٢٨٦.

(٣٣) آل عمران، ٣/١٨٢.

(٣٤) التكوير، ٨١/٨-٩.

وَالثَّمَرَاتِ﴾،[٣٥] وقال: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.[٣٦] وتمام الإيضاحِ يُعْرَفُ في الشّرح.

فصل: [الله خالق كل العالم]

الله خالق كلِّ العالم؛ أعيانه وأعراضه الاختياريّةِ والاضطراريّة، خيْرِها وشرّها؛ والله عادلٌ في خلْق الشّرور حكيمٌ كما في خلْق الخيرات، والكلُّ بإرادته وقضائه وتقديره. وعند المعتزلة الأعراضُ الاختياريّةُ خيرُها وشرُّها ليست بتخليق الله، وإنّمَا خالقها من العباد والحيوانات، والخيْرُ بإرادة الله وقضائه وتقديره دون الشرّ. وقالت الجبرية رئيسهم جهم بن صفوان: ليس للمخلوق اختيارٌ، وكلا المذهبَين باطلٌ. ومذهب أهل السّنّة بين الجبر والقدر لقوله تعالى: ﴿اِعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ﴾،[٣٧] وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[٣٨] وقوله: ﴿اَللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣٩] وقوله: ﴿وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤٠] أي عملكم، وما مصدرية.

---

(٣٥) البقرة، ١٥٥/٢.

(٣٦) العنكبوت، ٢/٢٩.

(٣٧) فصلت، ٤٠/٤١.

(٣٨) الإنسان، ٣٠/٧٦.

(٣٩) الزمر، ٦٢/٣٩.

(٤٠) الصافات، ٩٦/٣٧.

فصل: [التوليد]

آثار أفعالِ الحيوانات بخلْق الله بلا اختيارها وكسبها؛ وعند المعتزلة هي متولّدةٌ من الأفعال الاختياريّة. وحجّتنا قولُه تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٤١] وإنّما قلنا أَنْ ليس للفاعِلين من العباد والحيوانات في الآثار اختيارٌ، لأنّ الألمَ مثلاً لو كان فعلاً لفاعلٍ سببُه وهو الضربُ، لا يخلو إمّا أَنْ يفعلَه بالقدرة التي فَعَلَ بها الضربَ، أو بقدرة أخْرَى، أو بلا قدرةٍ واللوازم كلُّها منتفيةٌ، فيلزم انتفاءُ الملزومات، لأنّ الواقعَ لو كان هو القسم الأوّلُ يلزَمُ كوْن فاعل السبب متمكّنًا من الامتناع عن إثبات الألم بعد وجود الضرْبِ المؤلم منه، لأنَّ القادرَ مختارٌ في تحقيق مقدوره، وليس كذلك، فيلزم منه أيضا بقاءُ العرض إلى زمانَين وبقاء العرض محالٌ . ولو كان الواقعُ هو القسم الثاني، يلزم تمكُّنُهُ من الامتناع أيضًا، لأنّ مَنْ قدَر على الشّيئَين كان قادرًا على ترك أحدهما وتحقيق الآخَر، فيلزم أنْ يكونَ قادرًا على تحصيل الألمِ بدون سببه أو تحصيلِ سبب الأثر بدون الأثر، وكلاهما منتفٍ. ولو كان الواقع هو القسم الثالثُ يلزم تحقيقُ حَادِثٍ من العبد بلا قدرة، وإنّه باطل.

فصل: [المقتول ميت بأجله]

المقتول ميّتٌ بأجله؛ والموت يُوجَدُ في المقتول بتخليق الله تعالى؛ وليس للقاتل فيه اختيارٌ وإنّما يجبُ عليه القصاصُ أو الدية.

---

[٤١] الرعد، ١٣/١٦.

وكذا ضمان المتلفات في كسر القارورة وشق الزِقِ لمخالفته نهيَ الله اختيارًا بمباشَرةِ السبب؛ والله لا يُبدِّل سنتَه الجارية. قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾[٤٢] وقد أجرى سُنتَه بخلق الموت والتَّلَفِ عند مباشرة سببهما. والعبد منهيٌّ عنهما فيتوجَّه عليه اللائمة والغرامة في الدنيا والعقوبةُ في الآخرة لمخالفته النهيَ باختيارِه.

فصل: [الخير والشر بقضاء الله]

المعاصي تُوجَدُ بقضاء الله وتكوينه وتقديره ومشيئتِه، لا برضاه وإذنه؛ والخيرات تُوجد بقضاء الله وتكوينه وتقديره ومشيئته ورضاه وإذنه لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾،[٤٣] وقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾،[٤٤] وقولُه عليه السلام: «... بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ ...»[٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[٤٦] وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[٤٧] وقال الأنبياء بأجمعهم عليهم السلام: «مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ».[٤٨] وقالت المعتزلة: المعاصي

---

(٤٢) فاطر، ٤٣/٣٥.

(٤٣) الرعد، ٢٧/١٣.

(٤٤) الزمر، ٦٢/٣٩.

(٤٥) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، مح. أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ – ١٩٩٥)، ١٧٤/٦ (رقم الحديث ٦١١١).

(٤٦) الزمر، ٧/٣٩.

(٤٧) الأعراف، ٢٨/٧.

(٤٨) أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، السنن، مح. محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية،؟)، «أدب»، ٣١٩/٤ (رقم الحديث ٥٠٧٥).

ليست بقضاء الله وقدَرِه وتكوينه ومشيئته، والطاعاتُ ليستْ بقضاء اللهِ وقَدَرِهِ وتكْوينه ومشيئته، ولكنْ رضِيَ بها وأَذِنَ للعباد بفعلها. ومذهبهم باطل، لأنَّه يُخَالِفُ الآياتِ والأخبارَ، ومَنْ ادّعَى أنَّ شيئًا من الممكنات بتخْليقه وإرادته فقد نازعَ اللهَ في ربوبيّته وخاصمَه في ألوهيّته، ولمْ يكنْ صادقاً في قوله «لا إله إلا الله»، ويقول الله تعالى للمعتزلة: ﴿... ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾،(٤٩) وقال أهل التفسير: نزلت في ردّ القدرية، وإيضاحُ البحثِ في هذه المسائل يُعرَف في الشّرح.

فصل: [لا يجب على الله رعاية الصلاح للعبد]

لا يجب على الله رعايةُ الصلاح للعبد خلافًا للمعتزلة، لأنّ الوجوبَ ينافي الفضلَ والكرمَ والمنّة، والله سبحانه ذو الفضل وإنّه كريمٌ منّانٌ. وقال تعالى: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾،(٥٠) وقال: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾،(٥١) وقال: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾،(٥٢) وقال: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾.(٥٣)

فصل: [ليس في صفات الله ولا في أسمائه تناف ولا ترادف]

ليس في صفات الله ولا في أسمائه تناف ولا ترادفُ؛ إذ وجود

---

(٤٩) القمر، ٥٤/٤٨-٤٩.

(٥٠) آل عمران، ٣/٤٠.

(٥١) الشورى،٤٢/٨.

(٥٢) الحجرات، ٤٩/١٧.

(٥٣) الأنبياء،٢١/٢٣.

المتنافيَين في ذات واحدة معا محالٌ، والترادفُ يُنافي الكمالَ والثناءَ ولو قلنا: السمعُ والعلم واحدٌ، للزم أنْ يكونَ قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٥٤] بمنزلة قولنا: وهو السميع السميع، ويلزم أنْ يكونَ في ذكر أسمائه الحسنى تعدُّدٌ بلا فائدةٍ، كقولنا: الأسد حيدر وضرغام.

فصل: [الله موصوف بصفات لا تعد ولا تحصى]

الله موصوف بصفات لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وَلَهُ الأسماءُ الحسنى بِلا نهاية، ولا تعدُّدَ في كلّ صفةٍ ولا في كلّ اسمٍ. فالله عَلِمَ مَا كَانَ وما يكونُ وما لم يكنْ بعلم واحدٍ وكذلك يُقَدِّرُ على كل الممكنات بقدرة واحدة. وكذا الكلام والمشيئة، فإنّه متكلمٌ من الأزل إلى الأبد بكلام واحدٍ، وجميعُ الكتب السَّماويّة دالةٌ على ذلك الكلام الحقيقيّ القائم بذات الله ولو أُنْزل ألفُ ألف كتابٍ ما نفدت كلماتُه. وكلُّ الكائنات الماضيةِ والواقعةِ في الحال والمستقبل بمشيئة وَاحدةٍ وإيجاد واحدٍ. وكذا في كلِّ صفةٍ من صفاته، لأنّ التَعدُّدَ يستلزمُ العجزَ والنقصانَ كما في حقّ الخلْق، لأنَّ صفاتِ الخلق أعراضٌ ناقصةٌ.

فصل: [ليس في أسماء الله الحسنى وصفاته تداخل]

ليس في أسماء الله الحسنى وصفاته تداخل؛ بل كلُّ اسمٍ وكلُّ صفة تدلُّنا على كمال خاصٍّ، ولا يجوز أنْ يُقال إنّ بعض صفاته أشرفُ من آخَر، لأنَّ ذلك يستلزمُ نقصانَ المفضولَ، والقِدَمُ ووجوب

---

[٥٤] المائدة، ٧٦/٥.

الوجود ينافيان النقصانَ. وأمّا قوله تعالى [في الحديث القدسي]: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»،(٥٥) فذاك السَبْقُ يكونُ في الآثار لا في حقيقة صفةِ رحمته وغضبه.

فصل: [رؤية الله]

رؤية الله تعالى بالبصر الظاهر تَجُوزُ لعَبيدِه عقلا في الدنيا والآخرة، وموعودُ تحقُّقِها في الجنّة في الآخرة بلا كيف ولا جهة ولا صورةٍ. والدليلُ على الجواز مطلقًا سؤالُ موسى عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾،(٥٦) والدليل على التحقّق في الآخرة قولُه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.(٥٧) ولأنّ الله جميلٌ جمالاً يليق بالألوهيّته، ويجب الثناء ويجب محبّةُ عبادهِ لَهُ وشوقُهم إليه، وكلُّ جميل يجب أنْ يراهُ غيرُه بخلاف المَعِيبِ النّاقص. والجنّة دارُ الكرامات لا دارُ الابتلاءات، والمؤمن أهلٌ لرؤيتِهِ ومحبّته وشوقه إليه لإكرامه الله بذلك؛ وفي الدنيا إنّما لم يُرِ ذَاتَهُ لعباده كيلا يرتفِعُ الابتلاءُ ويكون الإيمان غيباً لا ضروريًّا. رؤية الله من أقسام المتشابهاتِ التي تعْرِفُ العقولُ أصلَها بالدلائل ولا تعرف كنهَها وحقيقتَها، كوزْن الأعمال وكمرور النّاس على صراطٍ أَحَدَّ من السّيف وأدقَّ من الشّعر، وكاليد والمجيء في قوله تعالى: ﴿وبَلْ

(٥٥) إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، توحيد ٥٥، (رقم الحديث ٧١١٤).

(٥٦) الأعراف، ١٤٣/٧.

(٥٧) القيامة، ٢٢/٧٥-٢٣.

يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾،[٥٨] وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾.[٥٩] وما جَرى مجراهَا. فالواجبُ علينا أنْ نؤمنَ بها ولا نشتغل بكيفيتها ودركِ كُنْه حقيقتها. فالمعتزلة أنكروا الكلَّ وأوَّلُوا اليدَ بالقدرة أو الجودَ والمجيء بظهور الحقّ والرؤيةَ برؤية الآيات. والمشبّهةُ اعتقدُوا يدًا جسمانيةً ومجيئًا جسمانيًا ورؤيةَ صورة، ودِينُ اللهِ بين الغلوِّ والتقصير.

فصل: [كنه حقيقة ذات الله]

كُنْهُ حقيقة ذات الله لا يمكنُ معرفتُه لجميع الخلائقِ إلى أَبَدِ الآبدين. ولهذا قال الجنيدُ: (لا يَعْرِفُ اللهَ إلا اللهُ). وقال أبو بكر الصّديق: (العجزُ عن دركِ الإدراك إدراكٌ). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ فِي ذَاتِ اللهِ حَمْقَى»،[٦٠] وقال النبي صلى الله عليه وسلم مع أنَّه كان سيّدَ النبيّينَ والعارفينَ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»،[٦١] لمْ يردْ به أنّي عرفتُ اللهَ على الحقيقة، ولم يطاوع لساني ثناء، بل مرادُه لا أَعْلَمُ ثناءً يَلِيقُ بجلالك وعظمتِك، ولا أقدرُ عليه. وأمَّا قولُ أبي حنيفة في الفقه الأكبر: (عرفْنَا اللهَ حَقَّ معرفتِهِ وما عبدْناه حقَّ عبادتِه)، فالمرادُ حقُّ المعرفة التي كُلّفنا بها.

فصل: [طرق معرفة الله]

معرفة الله قَدْرَ ما يتصوّرُ للعباد على ثلاثة أقسامٍ: معرفةٌ فطريةٌ،

---

[٥٨] المائدة، ٥/٦٤.

[٥٩] الفجر، ٨٩/٢٢.

[٦٠] لم نجد هذا الحديث في مصادر الأحاديث المعتبرة.

[٦١] مسلم، الصحيح، الصلاة ٤٦، (رقم الحديث ٤٨٦).

وإشارة الأنبياء عليهم السلام إليها بقولهم: ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾،[٦٢] وقال نبينا صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ».[٦٣] ومعرفةٌ داخلةٌ تحت التكليف بعد المعرفة الفطريّةِ بواسطة الحُجَجِ العقليّة والنقليّة من الأنبياء عليهم السلام. ومعرفةٌ موهوبيّةٌ لبعضِ خواصِّ عباد الله تعالى بالكشوف وبتصفية مِرْآةِ الروح والقلب.

فصل: [رؤية الله في المنام]

رؤية الله بالروح الصّافية والقلب الصّافي في المنام بلا كيف يُجوّزُ كثيرٌ من المشايخ رَأَوُا الله في المنام، وحمزة الزّيّات رأى اللهَ تعالى في منامه وقَرَأَ جميعَ القرآن على الله. وأهل الصفاء لهم تجلياتٌ في اليقظة بأرواحهم الصافية؛ قال عمر رضي الله عنه: (رَأَى قَلْبِي رَبِّي).

فصل: [السعيد- الشقي]

كلُّ مَنْ كُتِبَ له السعادةُ في اللوح يموت سعيدًا لا محالةَ، وإنْ زجّى غالب عُمره في الكفر والمعاصِي كما كان في سَحَرَةِ فرعون وبعضِ صحابة نبيّنا صلى الله عليه وسلم. وكلُّ مَنْ كُتب له الشقاوةُ فتدركُه لا محالةَ، وإنْ زجّى غالبَ عُمْرِهِ في الإيمان والخيرات كما كان في إبليس وبلعمَ وبرصيصا وثعلبةَ يمحو اللهُ ما يشاء ويثبت. والسعيدُ قد يشقَى والشقيُّ قد يسعد خلافا للأشعرية وبعض الشافعيّة؛ والتَغَيُّرُ يكونُ في الآثار لا في صفات الله.

---

[٦٢] إبراهيم، ١٠/١٤.

[٦٣] الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ١٠٤/١٢ (رقم الحديث ٧١٨١).

فصل: [الله ابتلى عباده]

الله ابتَلَى عبادَه بالشرائع والسرّاء والضرّاءِ ليُظهِرَ ما علم كما عَلِمَ من أهل الثواب والعقاب، لأنَّ تعذيبَ العباد بعلمه وحكمه بالمعصية قبل عملِهم المعصيةَ المحكُومةَ عليهم ظلمٌ، تعالى الله عن الظلم وعن كلِّ نقصٍ علوًا كبيرًا.

فصل: [هل الحرام رزق مقدر كالحلال]

الحرام رزقٌ مقدَّرٌ كالحلال، خلافًا للمعتزلة إذ الرزقُ هو الغذاء وأسبابُ كفاية التعيُّش، وإنَّهما لا يختصّان بالحلال. وقولهم الرزقُ هو المملوكُ باطلٌ لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾،[٦٤] والدابةُ من العَجْماواتِ التي ليس لها مملوكٌ، وإنَّما يُعَذَّبُ آكِلَ الحرامِ لمخالفة نَهْيِ الله تعالى باختياره.

فصل: [التفضيل]

لله تعالى أنْ يُفضّلَ بعضَ خلقه على بعض، قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾،[٦٥] يُعطى مَنْ يشاء ويمنع ممّن يشاء، يجعلُ بعضَ عبيده ملكًا والبعضَ خدمًا له وإنْ كانوا أقوى بطشًا وعلمًا وكياسةً، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريدُ، يبسطُ الرِّزْقَ لمن يشاء ويَقدر على من يشاء من النِّعَمِ الجسمانيّةِ أو الروحانيّةِ، وإنَّه بعباده خبيرٌ بصيرٌ. وكذا له أنْ يفضّلَ بعضَ الأمكنة والأزمنة على البعض، فبطلَ بهذا قولُ

---

(٦٤) هود، ٦/١١.

(٦٥) البقرة، ١٠٥/٢.

المعتزلة: «إنّه وَجَبَ على الله الأصلَحُ لعباد، وإنّ العقولَ متساويةٌ لا رجحانَ للبعض على البعض فيها»، وإنّه مكابرةٌ وردّ للحس والعقل والنَّقل من الآيات والأخبار؛ ولأنّه لو وجبَ على الله ما هو الأصلحُ لكلّ أحدٍ فيلزم أحدُ الأمرَين: وهو أنْ يكونَ كلُّ واحدٍ موصوفًا بجميع الكمالات أو نسبةُ الجور والظلم إلى الله تعالى، وكلا اللازمين منتفٍ.

فصل: [ليس للعبد حرية عن رق العبودية والتكليف]

ليس للعبد حريةٌ عن رقّ العبوديّة والتكاليف خلافًا للزنادقة وأهل الإباحة لقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٦٦] أي الموتُ. وأجمعَ الأئمّةُ الأربعة على وجوب الصلاة على المريض مرضَ الموت مادام قادرًا على الإيماء، وكذا وجبت الصلاة على التي تَضَعُ الحملَ حالَ ولادتها مع شدّة ألمِها، فما لم تخرج من العبد روحُه عن بدنه فهو في رِبْقَةِ التكاليف. وقال الجنيد: «الذي يَزْنِي ويَسْرِقُ خيرٌ من الذي يقولُ إذا صار العبد كاملاً في الولاية لا يبقى عليه أمرٌ ونهيٌ والحرامُ والحلال». لأنّه في مقام التوحيد يرى الكُلَّ من تقدير الله ويرى نفسه مجبورةً تحت القضاء والقدر. وقال الجنيد: «بل ازداد الأمرُ والنهي والعقابُ والمؤاخذةُ بأدنى مخالفةٍ عند كمال الولاية، لأنَّ العبد حينئذٍ صار مخاطبًا بأوامِر الشريعة ونواهِيها ومخاطبًا أيضًا بوارداته وإلهاماته ووَاقِعَاته، ومناماته وعليه

---

(٦٦) الحجر، ٩٩/١٥.

تبِعةٌ بكل مخالفةٍ تُوجَدُ منه بحسب الخطابات الظاهرة والباطنة والأنبياء عليهم السلام كانوا يُعاتبونَ بأدنى زلّةٍ مع كمال حالهم.)

فصل: [هل يجوز أن يؤاخذ الله عباده بالخطأ والنسيان]

يجوز أنْ يؤاخذَ الله عباده بالخطأ والنسيان خلافًا للمعتزلة، لأنّ الله تعالى قال في حقّ هذه الأمّة مدحًا لهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾،(٦٧) أي قالوا ذلك واُستجيبَ لهم؛ وقال نبيّنا عليه السلام: «رُفِعَ عَن أُمتي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ»،(٦٨) أي رُفع إثْم الآخرة إذا كان في حقّ الله ولم يكن مقصرًا وفي أمر ليس فيه هيئةٌ مذكّرةٌ، فلو لم يجزْ المؤاخذة فيهما عقلاً كما قال المعتزلة لما صحّ ما ذكرْنا من الآية والخبر.

فصل: [الشكر]

شكر نِعَمِ الله الظاهرةِ والباطنة على الكمال لا يمكنُ، لأنّ كُلَّ شكرٍ نعمةٌ جديدةٌ يستوجب شكره إلى ما لا يتناهَى. ولا تُحمد نعمةٌ من الله وإنْ قلّت إلا بنِعَمٍ جديدةٍ من القوة والعصمة والزمان

---

(٦٧) البقرة، ٢/٢٨٦.

(٦٨) ورد الحديث في سنن ابن ماجة بهذا اللفظ «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»

أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي القزويني، السنن، مح. محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء الكتب العربية)، الطلاق ١٦، (رقم الحديث ٢٠٤٣).

والمكان وغيرها. والجنة والنجاة من العذاب برحمته تعالى وفضله لا باستحقاقِ أعمالنا، خلافًا للمعتزلة لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾[٦٩] وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾،[٧٠] وقوله صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يُنجِيَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ»، قيل ولا أنتَ يَا رسولَ الله، قال: »وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا أَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا وأَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ»، [٧١] وقال: «وَاللهِ لَوْ عَذَّبَنِي وَعِيسَى كَانَ عَادِلاً»،[٧٢] وتمامُ الإيضاح يُعرَفُ في شرحِهِ.

***

---

[٦٩] الأنعام، ٦/١٥-١٦.

[٧٠] الروم، ٣٠/٤٥.

[٧١] ورد الحديث في صحيح مسلم بهذا اللفظ «ما من أحد يدخله عمله الجنة» فقيل: ولا أنت؟ يا رسول الله! قال «ولا أنا. إلا أن يتغمدني ربي برحمة». مسلم، الصحيح، صفات المنافقين ٥٠، (رقم الحديث ٢٨١٦).

[٧٢] لم نجد هذا الحديث في مصادر الأحاديث المعتبرة.

[الباب الثاني]
[مسائل النبوات]

فصل: [النبوّة]

في النبّوات وما يتبعُها من الكرامات والخلافاتِ وفيه تحقيقُ شرح قولنا محمدٌ رسولُ الله، قال أهل الحقِّ: إرسال الرسل من الجائزات العقليّةِ والواجباتِ السمعيّة الكائنةِ لا محالةَ، خلافًا للسمَنِيّة والبراهمةِ. وحجّتُنا في أصل الجواز العقليّ أنّا قد بيّنا بالدلائل أنّ للعالم إلهًا ولا إلهَ إلا هو، ولا خالقَ إلا هو، وأنَّه الحكيمُ الموصوفُ بالرَّأفَةِ والرّحمة وهو الملكُ والكلُّ عبيدُه، ولكلِّ مالكٍ وِلَايَةُ التصرّفِ في مماليكه فله أنْ يُخصِّ بعضَ عبيده اللائق بالرّسَالة بتبليغ أوامره ونواهيه إلى عباده. لا يُقال العقلُ مُستغن عن الرسول، لأنّه يعرف الحقَّ من الباطل، لأنّا نقولُ العقلُ لا يُعَرِّفُ الأمورَ الجائزةَ من جزئيات الشكر وجزئيات الكفر وإنْ عَرَفَ الواجبات والممتنعاتِ وكلّي الشكر بأنّه واجب، وكلّي الكفر بأنّه حرام. والكلّي لا يتحقّقُ وجودُه إلا في جزئيته؛ مثاله: مثلا أنّ العقلَ لا يَعْرِفُ أنْ يشكرَ الله تعالى للنعمة البدنية بالصلوات الخمس وللنعمة المالية بالزكاة وإنْ أوجبَ على صاحبه أنْ يشكرَ الله لنعمة البدن والمال، فيحتاج العقلُ إلى البيان من العلام الأزليّ المحيط علمُه بكل كلّي وجزئيّ على التفاصيل. وعلى هذا فاعرِف في سائر الأقسام في العبادات

والمعاملات والحدود والكفارات والقصاص والآداب. ومَن استغنى بعقله عن قبول الشّرع تَاهَ في ضلالته كالفلسفيّ، وهَلَكَ وأَهلك كثيرًا من الناس.

فصل: [شروط الرسول]

في بيان شروط الرسول؛ شرائطُ الرسول أنْ يكونَ بشرًا لا مَلَكًا، لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾.[٧٣] و شرط آخر: أنْ يكون رجلًا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾،[٧٤] ولأنّ مَبْنَى الأُنوثَةِ على الستْر، ومبنى النبوّة على الإشهار لدعوة العامّ والخاصّ واختلف العلماء في الجِنّ أنّه هل يجوز أنْ يكون منهم رسولاً إلى الجن؟ قال مقاتل من أئمّة التفسير: يجوز لقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾،[٧٥] وعند أكثر العلماء لا يجوزُ كونُ الرسول إلا من الملائكة إلى الملائكة أو إلى الأنبياء، أو من البشر إلى البشر أو إلى البشر والجنّ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾،[٧٦] وقال في صفة الرسل: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾،[٧٧] والجنّ لا يأكل

---

[٧٣] الأنعام، ٦/٨-٩.

[٧٤] النحل، ١٦/٤٣.

[٧٥] الأنعام، ٦/١٣٠.

[٧٦] الحج، ٢٢/٧٥.

[٧٧] الأنبياء، ٢١/٨.

الطعامَ فلا يكونُ رسولاً، وهو مذهب ابن عبّاس وعامّةُ أهلِ التفسير وأما لفظة "منكم" في الآية فمجاز كما في قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾،[٧٨] وهو أنّ الله لمّا جَمَعَ الثقلين في الخطاب خاطبَهم بضمير الجمْع وإنْ كان المراد الإنس، أو لأنّ من الجن رسول نبينا، ورسولُ الرسول رسولٌ.

شرط آخرُ: أن كان زمانُه قبل بعثة نبيّنا صلى الله عليه وسلم، لأنّه خاتمُ النبيين.

شرط آخر: أن كان دعواهُ مِنَ الجائزات في العقل أو الواجبات في العقل. أمّا إذا ادّعَى أمراً محالاً في العقل فيرَدُّ ولا يُقبَلُ قوله كدعوى زرادشت إلهين.

وشرط آخر: إظهار المعجزةِ الناقضة للعادة، ولا يجوز قبولُ قوله إلا بعد الدليل القطعيّ أنّه رسولٌ لأنّ تصديق المتنبئ كفر.

تنبيه: النّاقض للعادة أقسام: ما يجري على يَدَي النبيّ وهو المعجزةُ؛ وما يجري على يدي الوليّ وهو الكرامة؛ وما يجري على يدي الصّالح من عوام المؤمنين في بعض الأوقات وهو المعونة؛ وما يجري على يدي المتأله والمبتدع والكافر والفاسق وهو الاستدراج ليزدادوا إثما وتقوية لخذلانهم وإمدادا لطغيانهم. وأما المتنبئ فيستحيلُ ظهور النّاقض للعادة على يديه، إذ في ذلك الالتباسُ بين النبيّ والمتنبئ، وفيه رفعُ الشريعة.

---

[٧٨] الرحمن، ٢٢/٥٥.

فصل: [هل يجوز بيان بعض الرسل على التعيين]

بيان بعض الرّسل على التعيين، عدد جميع الرّسل والأنبياء غيرُ معلوم للبشر لقوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾،[٧٩] ومعرفة بعضِ الرّسل والأنبياء على التعيين إمّا أنْ يثبت بالتواتُر أو بالقرآن أو ببيان نبيّنا صلى الله عليه وسلم، فنحتاجُ إلى إقامة الدليل على أنّ نبيّنا نبيٌّ ورسولٌ، إذ هو الأصل في الباب. ونبوّةُ غيرِهِ تثبت ببيانه أو بكتابه، فنقول: معجزاته خارجةٌ عن الإحصاء؛ ومِنْ معْجزاته العقلية الباقية على مر الدهور بعده صلى الله عليه وسلم القرآنُ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَائَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾،[٨٠] وقد عَجَزَ العرب والعجم عن مُعارضته بسورة منهُ.

فصل: [إمكان جواز كرامة الولي]

في جواز كرامة الوليّ، نقول: الكرامة يجوز أَنْ يُظهرها الله تعالى على يدي وليه لازدياد يقينه وسهولةِ تحمّل المجاهدات في الدّين ولتسليته، وليكونَ معجزةً لنبيّه حيث حصلَ هذا التّشريفُ لمتابعه ببركة متابعته وليكون وَسيلةً لغير الوليّ ومحرّضاً له على السلوك في الطريقة والسير في مقاماتها لينالَ بذلِكَ المنزلةِ. وأنكرت المعتزلة والفلاسفة الكرامات لمّا لم يروْها في مشايخهم وإنّما حُرِمُوا لأنّ

---

[٧٩] غافر، ٧٨/٤٠.

[٨٠] البقرة، ٢٣/٢.

شرط الكرامة متابعةُ النبيّ صلى الله عليه وسلم في العقائد الدينيّة والأخلاقِ والأقوال والأَفعال. وكيف يجوزُ إنكار الكرامات، والقرآنُ قد نَطَقَ بها، قال تعالى خَبراً عن صاحب سليمانَ عليه السلام: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾،[٨١] وقال في قصة مريمَ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾،[٨٢] الآية. والأحاديثُ وآثارُ الصحابة وأخبار المشايخ من الصُّوفيّة والفقهاء لا تُحْصَى كثرةً في تحقيق الكرامات ولا يُنكِرُها إلا مُعاند مكابر.

فصل: [لوازم النبوة]

في لوازم النبوة، نقول: من لوازم النبيّ عليه السلام أنْ يكونَ أعقلَ زمانه، وأعلمَهم في الأمور الدينية لكونه مقتدى للكلِّ، وأن يكونَ أَحْسَنَهم خُلُقًا ليَسهل عليه تحمّل أثْقالِ الخلق في مخالطاتهم وتعليمهم الأمورَ الدينيّة. والخرسُ يُنافي الرسالةَ بخلاف العمَى. وكذا الصممُ والمعصيةُ قصدًا يُنافيانها، لأنّ الخرس ينافي التعليم وكذا الصمم بخلاف العمى. وصحّ أنّ يعقوبَ وشعيب عليهما السلام قد عَمِيَا. والمعصية القصديةُ تنافي الثقةَ به والتعويلَ عليه، وأمّا الزلة فيجوز على النبيّ وهي مخالفةُ الشريعة إذا وقع النبيُّ فيها من غير قصد المخالفة هوىً. وإنّما كان قصدُه الفعلَ المباح أو

---

[٨١] النمل، ٣٩/٢٧-٤٠.

[٨٢] آل عمران، ٣٧/٣.

الخير ووقع في المعصية من غير قصد "كالزّلل في الطّين" كما كان لموسى عليه في قتل القِبطيِّ، وكما كان لنبيّنا صلى الله عليه وسلم في اختيار الفِدَاءِ في أسارى بدر، ومعَ ذلك لا يُمهل ولا يُهمل، بل يبيّنه في الحال، كيلا يقتدي غيرُه به في ذلك.

فصل: [لا انعزال للنبي]

النبيّ بعد وفاته نبيٌّ ولا انعزال للنبيّ، لأن ذلك يدلّ على البداءِ والجهل، تعالى الله عنه، وكذا يكون نبيًا في الآخرة؛ وفي الوليّ اختلفوا أنّه هل يجوز أنْ يصير مخذولاً معزولاً عن ولايته على ما سيأتي إيضاحه بعد ذلك.

فصل: [اجتهاد النبي]

للنبيّ اجتهادٌ في بيان الحُكم الشرعيّ، إذا وقعت حادثةٌ ولم ينزل الوحيُ فيها، لا الوحي الجليّ ولا الوحي الخفيّ، بعد مُضِيّ مُدّة الانتظار. لأنّ معرفة النبيّ أقوى بحقائق النّصوص وعِلَلِها وطريق الاستنباط من مجتهدي أمّته، لكنّه إذا أخطأ لا يُقَرُّ على الخطأ، ولا يُهْمَلُ بل لا يُمهَلُ.

فصل: [مُعاتبات النبي علامة صدقه]

مُعاتبات النبيّ صلى الله عليه وسلم في القرآن والحديثِ علامةُ صدق النبيّ صلى الله عليه وسلم، فإنّ الإنسانَ لا يَذكرُ ما يُوهم النّقص في حالةٍ، قالت عائشة رضي الله عنها: (لو كتم النبيّ آيةً من

القرآن لكتمَ قصّة زينب في قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾،[٨٣] الآية. وحكمة أخرى فيها إظهار أن العبد تحت الابتلاء وإن ارتفعت درجته، وإنّ العصمة لا تزيل المحنة ولا الابتلاءَ.

فصل: [الرسل والأنبياء بعضُهم قد فُضّل على بعض]

الرسل والأنبياء عليهم السلام مع عُلوّ درجاتهم بعضُهم قد فُضِّلَ على بعض؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.[٨٤] والرسول أَفضلُ من النبيّ، إذ الرسول صاحبُ الشريعة، والنبيُّ كالخليفة والمعيد والمكرّر له لنصرة شريعته؛ وكل رسول نبيّ رفيع القدر مخبر من الله تعالى من غير عكس.

فصل: [صفة الأنبياء والرسل]

للأنبياء والرسل صفاء الفطرة وطهارةُ الخلقة؛ فهم محفوظون عن الرذائل، واللّهو واللّعب واللّغو والبخلِ والجبن، وغيرِها من الأخلاق الذميمة. وكذا هم مُبَرَّؤُنَ عن لوم النسب وعن شِرّة النّفس في جمع المال حبا له. ولم يحتلم نبيٌّ،لأنّ ذلك من غلبة الشيطان على الإنسان. ولم تَزْنِ زوجةُ نبَيّ قطُّ بخلاف الكفر والنفاق، لأنَّ امرأة نوحٍ وامرأةَ لُوطٍ كانتا منافقتَين لأن الزنا يُوجب نفْرة الأمة عن الاتباع إذ فيه المَطْعَنُ في حقّ النبيّ بخلاف الكفر والنفاق، لأنّ ذلك قد كان موجودًا في الأمة فلم يكن سببًا للنفرة. ولم يكن

---

[٨٣] الأحزاب، ٣٧/٣٣.

[٨٤] البقرة، ٢٥٣/٢.

نبيّ من الأرذال، ولم يكن عبدًا ولا بدويًا ولا لئيما ولا أنثى. وأمّا الفقر فليس فيه خساسة لأن الأنبياء عليهم السلام بُعثوا إلى الدعوة لأممهم إلى ترك الدنيا وطَلَبِ الآخرة.

فصل: [النبوة موهبة]

النبوّة موهِبَةٌ؛ لا تُنال بالكسب والاجتهاد ولا تُورث من الأب أو الأم؛ قال الله تعالى خَبرًا عن الرُسُل: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَلَٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٨٥].

فصل: [لا يجوز تفضيل بعض الأنبياء على بعض على التعيين]

لا يجوز تفضيل بعض الأنبياء على بعض على التعيين، ولكن يُقال: الرسولُ أفضل من النبيّ، وأُولُوا العزم أفضل من غيرهم، ونبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضَلُ من الكلّ، ولا يقال: إنّ محمدا أفضل من يونس أو غيرِه على التعيين، إذ فيه إيهام نقص المفضّل عليه، وكذا قال النبي عليه السلام: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى أَخِي يُونُسَ».[٨٦]

---

(٨٥) إبراهيم، ١١/١٤.

(٨٦) ورد الحديث في صحيح البخاري بهذا اللفظ «لا يقولن أحدكم: إني خير من يونس». البخاري، الصحيح، الأنبياء ٣٦، (رقم الحديث ٣٢٣١).

فصل: [لنبينا معراج روحاني ومعراج جسماني]

لنبيّنا معراجٌ روحانيٌّ ومعراج جسمانيٌّ؛ ومَنْ أنكره إلى المسجد الأقصى يُكفر، لأنّه ثبت بمحكم القرآن قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[٨٧] الآية. ومن أنكر معراجه إلى السّماوات والجنّة والنار كان مُبتدِعًا، لأنّه قد ثبت ذلك بالأخبار المشهورة.

فصل: [أزواج نبينا أمهات المؤمنين]

أزواج نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم مطهراتٌ أمهاتُ المؤمنين في الكرامة والعزة وحرمة النكاح لا في النظر إلى مواضع زينتهنّ وعائشة رضي الله عنها أفضلُ نسائه عند البعض لقوله عليه السلام: «خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ مِنْ هَذِهِ الحُمَيْرَاءِ»،[٨٨] وإنّها كانت مجتهدةً مستنبطة. وعند آخرين خديجة أفضل نساء أهل الجنّة، وفاطمةُ أفضلُ بنات النبيّ صلى الله عليه وسلم وأفضل نساء عالمها، كما أنّ مريمَ أفضل نساء عالمها.

فصل: [الولي لا يبلغ درجة النبي]

الولي لا يَبْلُغُ درجة النبيّ، وإنْ استقصَى في الولاية خلافا لبعض الجُهَّال من الصوفية. وقال المشايخ رحمهم الله: آخِرُ منازل

---

(٨٧) الإسراء، ١/١٧.

(٨٨) اسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مح. عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠)، ٤٣١/١ (رقم الحديث ١١٩٨).

الصدّيقينَ ودرجاتهم أول منازل النبيّ ودرجاته، ولا تحصل للوليّ درجةٌ إلا ببركة متابعة نبيّه.

فصل: [النبوة والولاية لا تزيلان الخوف]

النبوّة والولاية لا تزيلان الخوفَ، بل يزداد الخوف بهما لازدياد معرفتهما بالله تعالى وغناه ومكره؛ وكذا قال الله تعالى [في الحديث القدسي]: «مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفُ فَهُوَ مِنَ اللهِ أَخْوَفُ».[٨٩] وكان لجوفِ النبيّ صلى الله عليه وسلم في الصلاة أزيز كأزيز المِرْجَلِ من خوف الله.[٩٠]

فصل: [هل يجوز للولي أن يعرف ذاته بأنه ولي الله]

اختلف المشايخ أنّ الوليَّ هل يجوز أن يَعْرِفَ ذاته بأنّه وليّ الله، كما أنّ النبيّ يعرف أنّه نبيُّ الله؟ قال بعضهم: لا يعرف على الحقيقة لأنَّ الله قال: «أَوْلِيَائِي تَحْتَ قُبَابِي لَا يَعْرِفُهُمْ غَيْرِي»،[٩١] وهو غير الله. وقال أكثر المشايخ: يجوز أنْ يعرف ليزداد في الشكّر والتقوى. وأمّا قول الله تعالى (أوليائي) فمعناهُ في ستري عمّن ليس من أوليائي، بسترهم عن الأجانب غيرةً على أوليائه.

فصل: [العلاقة بين النبوة والمعجزة]

الرَّسول لم يكن رسولاً بالمعجزات، وإنَّما رسالتُه بإرسال الله

---

(٨٩) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، مح. أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١-٢٠٠٠)، ٤٨٧/١ (رقم الحديث ٧٩٣).

(٩٠) أبو داود، السنن، باب البكاء في الصلاة، ٢٣٨/١ (رقم الحديث ٩٠٤).

(٩١) عبد الرحمن جامي، نفحات الأنس، (إسطنبول: دار معرفة، ١٩٩٥)، ١٤٥.

ووحيه. وأمّا المعجزة فيُظهرها الله عليه لتعرفه الأمةُ ليصدّقوه؛ وكذا الوليّ ولا يتوقّفُ على ظهور كرامة ناقضة للعادة.

فصل: [ليس من شرط الولاية العصمة]

ليس من شرط الوَلاية العصمةُ عن المعاصي بخلاف النبوّة، لأنّ الوليّ ليس بمقتدى على الإطلاق ولا يَدْعُو النّاس إلى متابعة أقواله وأفعاله بخلاف النبيّ، لكنّ الوليّ إذا وقع في معصية وفّقه الله تعالى على التوبة الخالصة عقيبَها، وعلى أن يكفِّرَ سَيِّئَتَهُ بالحسنات، فلا يستقر عليه لوث الآثام. وقيل: معنى قول النبيّ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ»،[٩٢] أنّه إذا أَذْنَبَ وفّقه الله على التوبة الماحية لذلك الذنب، فبقي في عداد المحبين؛ والله لا يعذّب حبيبه. قال الله في ردّ دعوى اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾.[٩٣]

فصل: [هل يجوز أن يعزل الولي عن ولايته]

اختلفَ المشايخ في أنّ الوليّ هل يجوز أنْ يعزل عن ولايته بعد قبول الله له وتشريفه بالكرامات؟ قال بعضهم: يجوز أنْ يصير الوليّ عدوا بما يَصدرُ منه ما يستلزم صيرورته عدوا الله تعالى، كمثل إبليس وبلعم وبرصيصاً، والسعيد قد يشقى والشقي قد يسعد. وقال بعضهم: لا يُعْزل كالنبيّ فإنّه لا يُعزل عن نبوّته، لأنّه لو جاز أنْ يفعل

---

(٩٢) ورد الحديث في شعب الإيمان بهذا اللفظ «إذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الماء»، البيهقي، شعب الإيمان، ٣٢١/٧ (رقم الحديث ١٠٤٤٩).

(٩٣) المائدة، ١٨/٥.

بأوليائه من الإهانة والخذلان بعد القبول فلا يُوثق بقبوله وتشريفه، وهذا ليس من سنن الكرام، أو يلزم منه البداء وظهورُ الغلط وهذا فعل الجاهلين من المُلوك بالعواقب. وقال الآخرون: الأنبياء لا يُعْزَلونَ عن نبوّتهم لكونِهم قدوة في الدّين؛ والوليّ الحقيقيّ لا يُعْزَل أيضًا لما مرّ من الدلائل الذي ذُكروا. أمّا يجوز أنْ يفتح الله تعالى على بعض عبيده بابَ الكرامات صورةً، وكانت استدراجًا ومكرًا وابتلاء في الحقيقة وقد حكم الله لشقاوته في الأزل؟ وقال الشيخ أبو إسحاق الكلاباذي البخاري في كتاب بحر الفوائد: الذي كان لإبليس وبلعم و برصيصا من صُوَرِ الكرامة كان حلية ظواهرهم، أمّا أسرارُهم فما كانت محلّ القبول. وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي في كتابه الموسوم بتنبيه الغافلين: إنّ إبليس كان يُرى في الزمان السَابق، فقال له واحد: إنّي أتمنّى أنْ أكونَ مثلك ملعونا، فقال له: هذا تَمَنّ عجيبٌ لو صدقت في هذا التمنيّ فأكثر الحلف بالله صادقا أو كاذبا، واستخف باسم الله فإنّي كنت كذلك. وقالوا: إنّ إبليس كان معجبا متكبرا قبل الأمر بالسجود لآدم. فأراد الله أنْ يُظهرَ عجبَه وكبرَه بالأمر بالسجود لآدم ليُظهر ما علم الله تعالى منه. قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[٩٤] قيل: ما تكتمُون من التواضُع والكبر، فظهر بالأمر تواضع الملائكة وكِبْرُ إبليس، والله العاصم عن كُلّ زيغ وضلالة.

---

(٩٤) البقرة، ٢/٣٣.

فصل: [الخلافة]

لا بدّ للمسلمين من إمامٍ يقومُ بتنفيذ أحكامهم، وإقامةِ حدودهم، وسدِّ ثُغُورِهم وتجهيز جيوشهم وأخْذ صدقاتهم، وقطع مادّة شرور المتغلبة، وقطعِ المنازعات، وإقامة الجمع والأعياد وغيرها من الفوائد. وقال بعض القدرية: لا حاجةَ إلى الإمام لأنّ العقل والشرع كافيان لها. وقلنا: الصحابة احتاجوا إلى ذلك مع كمال عقولهم وعُلُومهم.

فصل: [شرائط الخلافة]

وشرائط الخلافة أنْ يكونَ الخليفة ظاهرًا لا مخفيًا، لأنّ الخليفة يقوم مقام النبيّ في حفْظ الدّين ودفع الظلم والفساد وأنْ يكون واحدا لقول أبي بكر رضي الله عنه: (لا يصلح سَيفان في غمدٍ واحد). وأنْ يكون قرشيا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اَلْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ». والعصمةُ ليست بشرطٍ خلافًا للروافض. وقول الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾،[٩٥] قالوا: ذلك العهدُ هو عهد النبوّة. وأنْ يكون الخليفة ذا نجدة، عالما بأمور الدّين، موصوفًا بتدابير الحروب، قادرًا على جرّ العساكر، وأنْ يكون من أهل الشهادة، وهو أنْ يكون حُرًا، عاقلاً، بالغا مسلما غير محدود في القذف. لأنّ ما ينافي الوِلاية الصّغرى ينافي الولاية الكبرى.

---

(٩٥) البقرة، ٢/١٢٤.

فصل: [طرق تنصيص الخليفة]

الخلافة إنّما تثبت بتنصيص الإمام السّابق كما كان لعمر أو اتّفاقِ أهل الحلّ والعقد كما كان لأبي بكر وعثمان وعَلِيّ رضي الله عنهم. وهؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدون القائمون مقام النبيّ صلى الله عليه وسلم. وفضُلهم على ترتيب خلافتهم لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَلَّدَ إِنْسَانًا عَمَلًا وَفِي رَعِيَّتِهِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَجَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ».[٩٦] فلا يُظَنُّ بالصّحابة الخيانة لأنّا أخذْنا الدّين منهم، ولا فضْلَ لأحدٍ بعدهم إلا بالعلم والتقوى لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾،[٩٧] وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[٩٨] وأمّا الذين نُسِبُوا إلى فاطمةَ فلهم فضْلُ النّسب على أولاد جميع الصحابة، أمّا الفضل عند الله فذلك يتعلّق بعناية الله وهو يختَصُّ برحمته مَن يشاء، والعلمُ والتقوى وسيلتان إلى القرْب من الله.

***

(٩٦) جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، مح. محمد عوامة، (بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ١٤١٨ـ١٩٩٧)، ٦٠/٤.

(٩٧) المجادلة، ١١/٥٨.

(٩٨) الحجرات، ١٢/٤٩.

[الباب الثالث]
[مسائل السمعيات]

فصل: [مسائل تتعلق بالسمع]

الإيمانُ فرضٌ بالملائكة بأنّهم عبادُ الله الكرام يسبّحون الله ليلاً ونهارا من غير فتور، ولا يعصون الله ما أمرَهم ويفعلون ما يؤمرون. خُلقوا من خالص النور، قد طهِّروا عن شهوة العصيان وشُرُور الشّيطان، وهم مُكَرَّمُون عند الله ولا يُوصَفُون بالذّكورة ولا بالأنوثة، وما لهم نسل ووِلَادَةٌ، وما لهم شغل سوى عبادة الله وليس لهم من نعمة الجنان حظّ. وأمّا في درجة لقاء الله اختلف المشايخ فيها، قال بعضهم: إنّهم محْرومون عن حظّ لقاء الله تعالى، لأنّ ذلك الوعدَ للمؤمنين من البشر. وقال آخرون: لهم حظّ في اللقاء وحظوظ روحانيّة.

فصل: [المسألة تفاضل البشر والملائكة]

خواصّ البشر من المؤمنين أفضلُ من خواصّ الملائكة، وعوامُّ البشر الأتقياء أفضَلُ من عوامّ الملائكة. وقالت الفلاسفة والمعتزلة: الملائكة أفضلُ من البشر. وحجّتُنا قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾،[٩٩] ولا يدخل الملائكة في هذا الوعد وإنْ هم آمنوا وعملوا الصّالحات أيضا بقرينة السّياق والسّباق.

---

(٩٩) البينة، ٩٨/٧.

فصل: [الإيمان فرض بجميع الكتب السماوية]

الإيمان فرض بجميع الكُتب السماويّة، ونقول: آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل على جميع الأنبياء، ولا نُفرّقُ بين أحدٍ منهم، وما يَنْقُلُهُ أهلُ الكتاب من التوراة والإنجيل والزبور وغيرِها من الصّحف إنْ وافق كتابَنا أوسنّةَ نبينا نَقبلُه ونُصدّقُه وإلا نَرُدُّهُ. ولا يجوز لنا مطالعةُ كُتبهم، لأنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم غَضِبَ على عُمر رضي الله عنه لمّا رأى في يده ورقةً من التوراة مع كمال صلابته وغزارة علمه. وفي بعض الأخبار النبويّة: «مَنْ تَعَلَّمَ مِنَ التَّوْرَاةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّالِفَةِ مِنَ الْيَهُودِ أَوِ النَّصَارَى لِيَغْزُرَعِلْمَهُ يُعَذَّبُ فِي الدَّرْكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ»، ذكره أبو طالب في كتاب قوت القلوب.

فصل: [النسخ]

النسخ جائز في الفروع خلافًا لليهود، وفيه ابتلاءُ العباد ليظهرَ السعيد من الشقي، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾،[١٠٠] قيل: إلا لنري لأنّ المعدوم لا يُرى، وإنْ عَلِمَهُ اللهُ تعالى عند أهل السنة. وقيل: لنعلم مجازٌ عن المعلوم، أي ليظهر معلومنا ليقعَ به الجزاءُ لأنّ الله يجازي عباده بعَمَلِهم لا بعلمه قبلَ العمل. وحكمةٌ أخرى في النسخ رعاية صَلَاحِ العباد باختلاف أحوالهم. والنّسخ بيان في حقّ الله لانتهاء محكومٍ شرعيٍّ جائزَ الانتهاء، تبديلٌ في حقّنا، كالقتل

---

[١٠٠] البقرة، ١٤٣/٢.

فإنّه بيانٌ لانتهاء أجل المقتول في حقّ المقتول عند الله، وقطع الحياة وقصره وإتلاف في حقنا، ولهذا يجب على القاتل القصاصُ أو الديّة.

فصل: [حقيقة الإيمان وما يتبعها من الأحكام]

في حقيقة الإيمان وما يتبعُها من الأحكام، الإيمان هو التّصديق بوجود الله وكمالاته وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخِر، قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾[١٠١] الآية، وقال صلى الله عليه وسلم لجِبْرِيلَ حين سألَه عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى»،[١٠٢] والأعمالُ غيرُ داخلة في ماهيّة الإيمان خلافًا للأشعريّة والمعتزلة والخوارج.

فصل: [الجاهل العاقل البالغ لا يُعذَر بجهل خالقه]

الجاهل العاقلُ البالِغ لا يُعذَرُ بجهْل خالقه، قال أبو حنيفة: لو لم يبعث اللهُ رسولا لوجبَ على الخلق معرفتُه بعقولهم، لِمَا يروْن من خلق السّماوات والأرضين وما بينهما. وأمّا فروع الدّين فلا تُعْرف إلا بالنبيّ. وقالت الأشعرية: حُسن الأشياء وقبحها إنّما يُعرفان بالشرع لا بالعقل، ومن مات في زمان الفترة كافرا مات معذورًا. وإنّه باطل لقوله تعالى خَبَرًا عن أهل النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾،[١٠٣] وقال إبراهيم عليه السلام مُحْتَجًا

---

[١٠١] البقرة، ٢/٢٨٥.

[١٠٢] مسلم، الصحيح، الإيمان ١، (رقم الحديث ٨).

[١٠٣] الملك، ٦٧/١٠.

بالدليل العقليّ لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾،[١٠٤] وقال لقومه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾.[١٠٥] فلو لم يعرف بالعقل شيءٌ قبلَ الشرعِ النبويّ وأنّ حُسنَ الشيء وقبحَه لا يُعْرَفان إلا بالشرع لكان مُحَاجَّةُ إبراهيمَ ضائعةً.

فصل: [العلاقة بين المعرفة والإيمان]

المعرفة ليست بداخلةٍ في ماهية الإيمان وكذا الإقرارُ والعمل الصالح لِمَا ذكرنا من الحديث النبويّ. وإيمان المقلّد المحقّق في الدّين اختيارًا إيمانٌ معتبر وإنْ كان عاصيا بترْك الاستدلال، إذ الايمان في اللّغة هو نفسُ التصديق بالقلب.

فصل: [إيمان البأس غير مقبول]

إيمان البأس غيرُ مقبول، لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾،[١٠٦] وقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾،[١٠٧] وقوله: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾،[١٠٨] وفي توبة البأس خلافٌ بين العلماء.

---

(١٠٤) مريم، ٤٢/١٩.

(١٠٥) الصافات، ٩٥/٣٧.

(١٠٦) غافر، ٨٥/٤٠.

(١٠٧) البقرة، ٢/٢-٣.

(١٠٨) سبأ، ٥٢/٣٤.

فصل: [الموافاة]

السّعيد قد يشقى والشقيّ قد يسعد، والقولُ بالموافاة باطل. وقالت الأشعريّة: الاعتبارُ للإيمان والكفر في الخاتمة، ولذلك قالوا على وجه الشكّ (إنّا مؤمنون إنْ شاء الله) وقالوا: من آمن في آخِر عُمره فهو كان مؤمنا فيما مضى من عُمُره في الكفْر، ومَن كفرَ في آخِر عمره فهو كان كافرًا فيما مضى في حال إيمانه. وهذه مكابرة وردٌّ للحقائق وإنكارٌ لقوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدُّ مِنكُمْ عَنْ دينه﴾،[١٠٩] وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ».[١١٠]

فصل: [ماهية الإيمان لا يزيدُ ولا ينقص]

ماهية الإيمان لا يزيدُ ولا ينقُصُ؛ لأنّ ماهيته ما ذكرنا مِنَ التصديق والجزم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخِر. وتجوز الزيادة في أوصافه ولواحقه، وهي اليقين والمعرفة وتصديق التفاصيل بعد الإيمان الإجمالي. لأنّ ماهيةَ الشيء لا تزداد ولا تنتقِصُ. فالطفل والشيخ والعالم والجاهل والنبيّ والوليّ سَوَاسِيَةٌ في الماهية الإنسانيّة، وإنْ ازداد البعضُ في الكمالات.

فصل: [المعصية غيرُ مُحبطة للحسنة]

المعصية غيرُ مُحبطةٍ للحسنة ولا تُنافي الإيمانَ، خلافًا للمعتزلة والخوارج، إذ المعاصي لو أحبطت الحسنات للزم إبطالُ فائدةِ وزن

---

(١٠٩) المائدة، ٥/٥٤.

(١١٠) البخاري، الصحيح، الجهاد ١٤٧، (رقم الحديث ٢٨٥٤).

الأعمال، والله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾،[١١١] والتوبة تكونُ من المعاصي، وقد خاطبهم باسم الإيمان.

فصل: [الإيمان والإسلام متلازمان]

الإيمان والإسلام مُتلازمان لا عبرةَ للتصديق بدُون الانقياد للأوامر والنواهي وكذا على العكس. وأمّا قول النبي عليه السلام: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ»[١١٢] الحديث، فالمرادُ منه شرائعُ الإسلام لا نفس ماهية الإسلام، لأنَّ الفاسق مسلمٌ عند أهل السنة.

فصل: [الخوف والرجاء من لوازم الإيمان]

من لوازم الإيمان الخوفُ والرجاء، والأمن واليأس يستلزمان الكفرَ، قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾،[١١٣] وقال: ﴿وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.[١١٤]

فصل: [الاستثناء في الإيمان]

عزم الإيمان من الكافر لا يخرجُه عن الكفر ما لمْ يؤمن، وعزم المؤمن أنْ يكفرَ ولو بعد سنين يخرجه عن الإيمان في الحال، لأنّه استحل الكفرَ، واستحلال المعصية كفرٌ. فلا يجوز أنْ يقول المؤمن:

---

(١١١) التحريم، ٨/٦٦.

(١١٢) مسلم، الصحيح «الإيمان»، ١، (رقم الحديث ٨).

(١١٣) الأعراف، ٩٩/٧.

(١١٤) يوسف، ٨٧/١٢.

(أنا مؤمن إنْ شاء الله) على وجه الشكّ لا في الحال، ولا بحسبِ حال موته، إذ الشكّ يُنافي الايمانَ. وأمّا ذكره على وجه التبرّك فيجوز عند الشافعية ولا يجوز عند الحنفيّة، لأنّ هذه الكلمةَ وضعتْ للتشكيك. ولهذا أجمعْنا أنّها تُبطِل اليمينَ والطلاق والعتاق والبيع ونحوها.

فصل: [هل يخلد المؤمن إن مات فاسقا بصغائر أو كبائر في النار]

المؤمن إن مات فاسقا بصغائرَ أو كبائرَ لا يُخلّد في النّار، ويصلى عليه صلاةُ الجنازة بإجماع المسلمين. وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَصَلُّوا عَلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»،(١١٥) وفيه خلافُ المعتزلة والخوارج، والأحاديث الوَارِدَةُ في الشَّفاعة حجةٌ لنا على الخصوم.

فصل: [لا يجوز تكفير أهل القبلة]

لا يجوز تكفير أهل القبلة في القول الصحيح، وإنْ كان فاسقا أو مبتدعاً، لأنَّ الفقهاء الحنفيّة والشافعيّة أجمعوا على قبول شهادةِ أهل البِدْعَةِ مع اتفاقهم على أنّ شهادة الكافر على المسلم لا تقبلُ.

---

(١١٥) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، السنن، مح. شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ – ٢٠٠٤)، ٢/٤٠٤ (رقم الحديث ١٧٦٨).

وإنّما لا تقبل شهادة الخطابية لأنّهم جوَّزوا شهادةَ الزور على مَنْ خالف مذهبهم. وقال شهاب الدين السهروردي: (حكم المبتدعةِ حكمُ مرتكبي الكبائر، وإنْ كانتْ بدعتهم أقبح من الكبائر الظّاهرة، يحقّقه أنّ الكافرَ هو الذي ردّ نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم).

فصل: [الكفار بماذا يخاطبون]

الكفّار لا يخاطبون بالعبادات لعدم أهليتهم لحكم العبادات، وهو رضاء الله تعالى والثواب الأُخْرَوِيّ. أمّا في الحرمات والحدود والمعاملات فهم داخلون تحتَ الخطابات لوجود الأهليّة لأحكامها فيهم.

فصل: [قبول العبادات]

إذا وجد عبادةٌ بأركانها وشرائطها يُفْتَى بالجواز ولكن لا يفتى بالقبول لأنَّ ذلك غيبٌ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾،[116] وللتقوى مضائق وشرائطه كثيرةٌ خفية، وقال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعدَ الفراغ من بناء الكعبةِ بأمر الله تعالى ورعاية شرائطه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[117]

---

[116] المائدة، ٢٧/٥.

[117] البقرة، ١٢٧/٢.

فصل: [طاعة العبد لله تعالى أشرف من الجنة]

طاعة العبد لله تعالى أَشْرَفُ من الجنة، لأنّ الطاعة حقّ الله تعالى، وحسنها عقليّ وشرعيّ وفيها رضاء الله تعالى. والجنّة حقُّ العبد وحسنها طبعيّ وحسيّ وفيها رضاء العبد. وأمّا قول الله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،[١١٨] قيل: ولنجزينّهم بأحسن أعمالهم التي خلص عن الرّياء والغفلات. وقيل: لنجزينّهم بالرضوان واللقاء والكلام والسلام، وهي أحسن من أعمالنا.

فصل: [الحسنة تكفّر السيئة والسيئة لا تُحبط الحسنة]

الحسنة تكفّر السيّئة والسيّئةُ لا تحبط الحسنة وإنْ أحبطتْ أنوارَها وجمالها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّاتِ﴾،[١١٩] وقال عليه السلام: «اَلْعُجْبُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ»،[١٢٠] ينقص أنواره. وعند المعتزلة الكبائرُ تُحبط الخيرات ويُخلّد مرتكبها في النّار إذا مات من غير توبةٍ. وهذا المذهب باطلٌ بالدلائل المقتضية للشّفاعة والعفو وبحقيّة وزن الأعمال ولإستحالة خلف وعد الله بأنّه لا يظْلم مثقال ذرة، وأنّ مَنْ يعمل مثقال ذرّةٍ خيرا يره.

---

(١١٨) العنكبوت، ٧/٢٩.

(١١٩) هود، ١١٤/١١.

(١٢٠) ورد الحديث في كشف الخفاء بهذا اللفظ: «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»، العجلوني، كشف الخفاء، ٥٢٤/١ (رقم الحديث ١٤٩٨).

فصل: [الدعاء]

للدعوات بشرائطها تأثيرٌ بليغ خلافًا لمن يقول: ما قَدَرَ يكونُ وما لم يقدر لا يكون، فلا فائدة للدعاء. وهذا المذهب باطلٌ بالآيات من الكُتُبِ الإلهيّة والأخبار النبويّة وإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾،[١٢١] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾،[١٢٢] أي عن دعائي بدلالة سياق الآية. وقال عليه السلام: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»،[١٢٣] وشرط الدعاء؛ طيب المطعم، وإخلاصُ القصد، وإحضار القلب، لأنّ الله لا يستجيب الدعاء من قلبٍ لاهٍ. وختم كُلِّ دُعاء بصلاة النبي عليه السلام سنّة، والصلوات رافعةٌ للدعاء وشفيعة له في القبول. والفائدة والحكمة في الإجابة للنبيّ معجزةٌ، وللوليّ كرامةٌ، وللمؤمن الصالح معونة، وتشريفٌ للمؤمن الفاسق داعٍ له إلى التوبة، أو إلزام الحجّة وقطع العُذر إنْ لَمْ يتب، وللكافر قطع عذرٍ أو استدراج.

فصل: [الدعاء للنبي]

الدعاء للنبيّ برحمة الله عليه محمود، لأنّ الصلاة من الله رحمةٌ.

---

(١٢١) البقرة، ٢/١٨٦.

(١٢٢) غافر، ٤٠/٦٠.

(١٢٣) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، السنن، مح. أحمد محمد شاكر والى غيره، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ – ١٩٧٥)، الدعوات ١، (رقم الحديث ٣٣٧١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾،(١٢٤) والنبيّ أشوَقُ النّاس إلى رحمة الله.

فصل: [زيارة القبور]

في زيارة القبور والدّعوات لأهلها والصدقات لهم فوائدُ لا تحصى؛ قال عليه السلام: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةِ»،(١٢٥) وفي روايةٍ: «فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقُلُوبَ وتُدْمِعُ الْعُيُونَ».(١٢٦) وقال عليه السلام: «إِذَا تَحَيَّرْتُمْ فِي الْأُمُورِ فَاسْتَعِينُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ»،(١٢٧) وعليه إجماع المسلمين. والمعتزلة والفلاسفة أنكروها بناءً على مذهبهم الفاسد أنّ الأجسادَ في القبور بلا حياةٍ. وإنّه باطلٌ لقوله عليه السلام: «اَلْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَحُفْرَةٌ مِنَ حُفَرِ النِّيرَانِ».(١٢٨)

فصل: [التوبة]

شرط التوبة النّدْمُ والامتناع والعزم على أن لا يعود، وليس من شرائط التوبة الثباتُ عليها إلى الموت بل التوبة مقبولةٌ بما ذكرْنا من الشروط، ولو كان يعود إلى المعصية الّتي تاب عنها في كلّ يوم سبعين مرّةً لإطلاق النّصوص الواردة في التوبة. وأمّا قضاء الفوائت،

(١٢٤) الأحزاب، ٥٦/٣٣.
(١٢٥) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ٣٩٨/٢ (رقم الحديث ١٢٣٦).
(١٢٦) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ٢٢٣/٢١ (رقم الحديث ١٣٦١٥).
(١٢٧) لم نجد هذا الحديث في مصادر الأحاديث المعتبرة.
(١٢٨) الترميذي، السنن، صفة القيامة ٢٦، (رقم الحديث ٢٤٦٠).

وأداء الكفارات الواجبة، وإرضاء الخصوم فذلك شرط لكمال التوبة لا لتحقيق ماهية التوبة يُؤَيِدُهُ حكايةُ الإسرائيليّ الّذي قتلَ مائةَ نفسٍ ثم مات بين القريتَين على ما عُرف في المصابيح وغيره.

فصل: [التوبة عن ذنب واحد صحيحة]

التوبة عن ذنب واحد صحيحة وإنْ ارتكبَ مائةَ كبيرةٍ، وأصرّ عليها سوى الّتي تاب عنها، خلافًا للقدرية لإطلاق النّصوص.

فصل: [توبة القاتل]

توبة القاتل عمدًا مقبولةٌ قبل القصاص وإرضاء الخصم ما كان بينَه وبين الله مع رجاء أنْ يرضَى الله تعالى خصمَه عند أهل السّنة، خلافًا للمعتزلة لإطلاق النّصوص الواردة في التوبة وجوازِ المغفرة دون الشرك.

فصل: [التوبة عن الكبائر لا تكون سبباً لمغفرة الصغائر]

التوبة عن الكبائر لا تكونُ سبباً لمغفرة الصغائر لا محالةَ عند أهل السّنة، خلافًا للمعتزلة، ويجوز أنْ يعذّبَ الله تعالى بصغيرةٍ، ويجوز أنْ يعفُوَ عن الكبائر دون الكفر لإطلاق قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾،[١٢٩] وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.[١٣٠]

---

[١٢٩] العنكبوت، ٢١/٢٩.

[١٣٠] النساء، ٤٨/٤.

فصل: [توبة الأعمى عن النظر الحرام والعنّين عن الزنا بالفرج]

اختلفوا في صحّة توبةِ الأعمَى عن النّظر الحرام والعنّين عن الزّنا بالفرْج، والصحيح أنّها مقبولة إذا أخلص قصده وجَزَمَ أنّه إنْ شفاه الله تعالى لا يعود إلى المعصية.

فصل: في مسائل متفرقة

[طلب العلم فرض]

طلب العلوم الدينيّة فرض على الجاهل، وتعليمُها فرضٌ على العالم، لقوله عليه وسلم: «طَلَبُ الْعُلُومِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مسلمٍ وَمُسْلِمَةٍ»،[١٣١] وقال: «أُطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ».[١٣٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.[١٣٣]

فصل: [العلاقة بين العلم والعمل]

العلم وإنْ كملَ لا يُغني عن العمل به والمجاهدة خلافًا للفلاسفة، والعمل بلا علمٍ لا ينفعُ، وإذا اجتمعَ العلمُ والعمل به في رجلٍ كان في أفضل الدّرجات بعد النبيّين عليهم السلام.

---

(١٣١) ابن ماجه، سنن، السنة ١٧، (رقم الحديث ٢٢٣).

(١٣٢) العجلوني، كشف الخفاء، ١/١٥٦ (رقم الحديث ٣٩٧).

(١٣٣) آل عمران، ٣/١٨٧.

فصل: [الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب]

الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ﴾.[١٣٤] وما يذكر النبيّ من الغيوب فذلك بإعلام الله بالوحي، ووجب على الغير تصديقه. وما يذكر الوليّ يكونُ أيضًا بإعلام الله بالإلهام أو الواردات، ولكن لا يجبُ على الغير تصديقُه إلا بعد العرض على الكتاب والسّنة والإجماع. وما يَزْعُمُه المنجم والكاهن والرمال، ومَن يجري مجراهم فلا اعتبارَ لهم وتصديقُهم فيما يخبرون عن الغيب كفرٌ.

فصل: [كسب الحلال المشروع]

كسب الحلال المشروعِ سنّةُ الأنبياء والصالحين، وإنّه لا يبطل التوكلَ إذا رأى الرّزق من الله تعالى ولا يعتمدُ على كسبه، وكذا التداوِي بالأدوية الطبيّة. وقال المشايخ: كمالُ التوحيد تلاشي الأسباب في عَين الأسباب، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لواحدٍ من الأعراب: «اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ».[١٣٥]

فصل: [تسبيح الجمادات]

للجمادات تسبيحٌ وكذا للناميات خلافًا للمعتزلة، وكذا لا يختصّ النطقُ باللسان خلافًا لهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

---

[١٣٤] النمل، ٦٥/٢٧.

[١٣٥] الترمذي، السنن، صفة القيامة ٦٠، (رقم الحديث ٢٥١٧).

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾،[١٣٦] وقال تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾،[١٣٧] وحديثُ مرور النبيّ صلى الله عليه وسلم على قبرَين، يعذّب صَاحِبَاهُمَا: «وأَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً وَغَرَزَهُ فِيهِمَا لَعَلَّ الْعَذَابَ يُخَفَّفُ بِتَسْبِيحِ الْجَرِيدَتَيْنِ الْمَغْرُوزَتَيْنِ».[١٣٨]

فصل: [إثبات الجن والشياطين]

في إثبات الجنّ والشياطين ردًّا على الفلاسفة والباطنية، نقول: القرآن نَطَقَ بوجود الجنّ والشياطين، وكذا الأحاديثُ ناطقةٌ به فمن جحدهما يَكْفُرُ.

فصل: [السحر والعين]

للسِّحر والعين تأثيرٌ لأنّه صحّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الأعصم اليهوديّ، وقد مَرِضَ صلى الله عليه وسلم بسحره، وذلك سببٌ لنزول السورتَين المعوذتَين. وقال عليه السلام: «الْعَيْنُ

---

[١٣٦] الإسراء، ١٧/٤٤.

[١٣٧] سبأ، ٣٤/١٠.

[١٣٨] ورد الحديث في صحيح البخاري بهذا اللفظ: «أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَقَالَ: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ). ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: (لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا ما لم ييبسا)»، البخاري، الصحيح، جنائز ٦٠، (رقم الحديث ٢٥١٧).

تُدْخِلُ الرَّجُلَ فِي الْقَبْرِ وَتُدْخِلُ الْجَمَلَ فِي الْقِدْرِ»،[١٣٩] وعليهما إجماعُ أهل السّنة خلافًا للمعتزلة وخالقُ الآثار هو الله تعالى.

فصل: [العالم لا في شيء]

العالم لا في شيء، وللخلاء وجودٌ بين أجزاء العالم خلافا للفلاسفة، قالوا: ليس لأجزاء العالم نهايةٌ، وأنّه باطل لِمَا ذكرْنا من البرهان الخطّي في أوّل الكتاب. وصحّ بالنقل الصحيح في الأخبار والتفاسير أنّ بين كلّ سماءٍ وسماءٍ مسافة خمسمائة سنة خالية، وكذا بين الجِنَانِ مسافات خاليةٌ عن الأجسام، والمدعي أنّ الخلاء محال منكرٌ لقدرة الله تعالى.

فصل: [جميع أجسام العالم جنس واحد]

جميع أجسام العالم جنسٌ واحدٌ واختلافها في صفاتها لا في ماهيتها خلافا للفلاسفة. فماهية المَلَكِ والإنسان والفرس مثلا جنسٌ واحد في الجسميّة، واختلافها بحسب الصّفات والخاصيّات، فيكونُ الحدّ والرسم سواءً في التعريفات عند أهل السنّة.

فصل: [تفاضل المخلوقات بعضها على بعض]

تَفَاضُلُ المخلوقات بعضها على بعض بتفضيل الله تعالى في العقلاء والجمادات من الأزمان والأمكنة وغيرها عند أهل السنّة

---

(١٣٩) ورد الحديث في كشف الخفاء بهذا اللفظ: «العين حق: تدخل الجمل القدر والرجل القبر»، العجلوني، كشف الخفاء، ٨٩/٢ (رقم الحديث ١٧٩٧).

لقوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾،(١٤٠) وعند المعتزلة الفضلُ والكرامة بالمادّة، وهو مذهب إبليسِ اللّعين.

فصل: [أحكام الآخرة]

الموت مكتوبٌ على أهل الأرض والسّماء، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾،(١٤١) وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾،(١٤٢) إلا سُكان الجِنَانِ والنيران من الغلمان والحور والطيور والبُراق والرّضوان والزبانية والحيّات والعقارب وغيرِها، فإنّها خُلِقَتْ للبقاء، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾،(١٤٣) المستثنى من الصعق هؤلاء.

فصل: [مسكن الأرواح]

قال أهل السنّة: مسكن أرواح خواصّ عباد الله بعد الخروج من القالب عِلّيُونَ، ومسكن أرواح الكفار في سجّينٍ في الأرض السفليّ في مَقَرِّ الشياطين. هكذا قال المفسّرون من أهل السّنة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾(١٤٤) وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِينَ﴾،(١٤٥) قالوا: إنّ كتاب الكفار وأرواحَهم في

---

(١٤٠) البقرة، ١٠٥/٢.

(١٤١) الرحمن، ٢٦/٥٥.

(١٤٢) آل عمران، ١٨٥/٣.

(١٤٣) الزمر، ٦٨/٣٩.

(١٤٤) المطففين، ١٨/٨٣.

(١٤٥) المطففين، ٧/٨٣.

سجين، وكتاب الأبرار وأرواحهم في عليينَ. وجاء في بعض الأخبار النبويّة: «أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تُعَلَّقُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ تَأْوِي فِي قَنَادِيلَ معلقةٍ تحت العرش».(١٤٦) وأرواح الفسّاق المعذّبين من أهل الإيمان، قال بعض المشايخ: يعذّب مع أجسادها في القبر، وقال بعضهم: لا ندري من أرواح الفاسقينَ ومسكنِها، لأنّه لم يصح فيه نقلٌ قطعيّ يقينيّ يوثق به.

فصل: [سؤال القبر حق]

سؤال القبر حقّ، يجب علينا الاعتقاد بحقيقيته قطعًا به ورد الأخبار الصّحاحُ. وهذا السؤال كائنٌ لكلّ عاقل يموت من الإنس والجنّ والشياطين، والأنبياء عليهم السلام يُسألون ويُقال لهم على ماذا تركتم أمتَكم، ولكن نتوقّف في كيفيّة حياة الميّت في القبر أنّه هل تُعادُ روحُه إلى جسده كما كان ذلك في حال حياته، أم تُخْلق فيه الحياة بقدْر ما يَفهم السؤال ويُجيب. فنؤمن به ولا نشتغل بكيفيّته لعدم وُرُود الدليل اليقينيّ فيه.

فصل: [عذاب القبر حق]

عذاب القبر حقٌّ لجميع الكفّار وبعض العصاة الذين ماتوا من غير توبةٍ، وعليه وعلى السؤال في القبر إجماعُ أهل السّنة خلافا

---

(١٤٦) ورد الحديث في سنن الترمذي بهذا اللفظ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ»، الترمذي، السنن، فضائل الجهاد ١٣، (رقم الحديث ١٦٤١).

للمعتزلة والفلاسفة. وحجّتنا قوله عليه السلام: «اَلْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنَ حُفَرِ النِّيرَانِ».[١٤٧] وقال: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»،[١٤٨] وقال تعالى في حقّ آلِ فرعونَ: ﴿اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾،[١٤٩] والأحاديثُ قد وردتْ في السؤال والعذاب في القبر كثيرة من الصّحاحِ والحِسان.

فصل: [القيامة]

القيامة كائنةٌ لا محالةَ وهي يوم الفصل ويوم بيان الحقائق ويوم الجزاء على ما عَمِلُوا في دار الابتلاء إن خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ. والعقل يجوِّز وقوعَ السؤال والعذاب في القبر وإيصال الرّاحة فيه ويجوّز إعادة المعدوم لأنّها من الممكنات وكلُّ ممكن مقدور الله تعالى. والدلائل السمعيّة القطعيّة قد وردتْ بحقيّتها، فيجب علينا الإيمانُ بها والإقرار بها. والدهريّة أنكروا القيامة والحشرَ أصلاً، والفلاسفة أنكروا حشر الأجساد وأقرّوا بحشر الأرواح بلا أجسادها. ومذهبهم باطلٌ لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾،[١٥٠] وقوله في ردّ الكافر الذي قال: ﴿مَنْ يُحْيِي

---

(١٤٧) الترمذي، السنن، «صفة القيامة»، ٢٦، (رقم الحديث ٢٤٦٠).

(١٤٨) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ١١٩/٢١ (رقم الحديث ١٣٤٤٧).

(١٤٩) غافر، ٤٦/٤٠.

(١٥٠) المؤمنون، ١١٥/٢٣.

﴿الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾،[١٥١] وغيرها من الآيات الإلهيّة الناطقة بحشر الأرواح مع الأجساد، وقد وردت الأخبار الصّحيحة به.

فصل: [قراءة الكتب حق]

قراءة الكتب، حقٌّ قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَة كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾،[١٥٢] وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾،[١٥٣] أي أيقنت، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾.[١٥٤]

فصل: [الحساب حق]

الحساب حقٌّ، قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾،[١٥٥] وقال عليه السلام: «مَا مِنْكُمْ إِلَّا وَيَسْأَلُهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ. فَيَقُولُ اللهُ أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا أَلَمْ أُرْسِلَ إِلَيْكَ رسولاً، فَيَقُولُ الْعَبْدُ بَلَى»،[١٥٦] وفي رواية

---

(١٥١) يس، ٣٦/٧٨-٧٩.

(١٥٢) الإسراء، ١٧/١٣-١٤.

(١٥٣) الحاقة، ٦٩/١٩-٢٠.

(١٥٤) الحاقة، ٦٩/٢٥-٢٦.

(١٥٥) الأعراف، ٧/٦.

(١٥٦) ورد الحديث في صحيح البخاري بهذا اللفظ «حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ: أَخْبَرَنَا سَعْدَانُ بْنُ بِشْرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مُجَاهِدٍ: حَدَّثَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ

يقول: «يَا ابْنَ آدمَ مَا غَرَّكَ بِي، يَا ابْنَ آدَمَ مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ، يَا ابْنَ آدَمَ مَاذَا أُجَبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ».(١٥٧)

فصل: [يحشر الأبدان مع الأرواح]

يحْشر الأبدان مع الأرواح وإنّهما يشتركان في النّعمة والعذاب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾،(١٥٨) وقال: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾،(١٥٩) والجنّة الجسمانيّة حقٌّ، وكذا الجهنم الجسمانيّة حقٌّ خلافاً للفلاسفة، لأنّهم قالوا الراحةَ والعذاب روحانيّة معنويّة للروح فقط ولا حشرَ للأجساد. وقولهم باطلٌ مخالفٌ لقول الأنبياء وتكذيب للكتب السماويّة.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ، وَالآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ: فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ، حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ: فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ، لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ، وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طيبة»، البخاري، الصحيح، الزكاة ٨، (رقم الحديث ١٣٤٧).

(١٥٧) عبد الله بن المبارك المروزي، الزهد والرقائق، النشر. حبيب الرحمن الأعظمي، (الهند: ؟، ١٩٦٦)، ١٣، (رقم الحديث ٣٨).

(١٥٨) الحج، ٧/٢٢.

(١٥٩) الانفطار، ٤/٨٢.

فصل: [يحشر الصبي والمجنون]

الصبيّ يحشر وكذا المجنون، ويُلحَقَانِ بآبائهم المؤمنينَ الصالحينَ في الجنّات، قال الله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.[١٦٠] وإذا كانت أصولُهم كافرة فمذهب أهل السّنة أنّ الله لا يعذِّب في الآخرة أحدا بلا ذنب صَدَرَ منه، ولا يلحق صِبيَان الكفّار بهم خلافا للخوارج، لِمَا ذكرْنا أنّ التعذيب للبريء من الجناية ظلمٌ بخلاف الابتلاء للبريء من الجناية في دار الدنيا. وأمّا في إدخالهم الجنّة أو كونهم من أهل الأعراف أو أنّهم صاروا خدام أهل الجنّة فاختلف العلماءُ فيه. وكذلك اختلفوا في دخول الجنّ في الجنّة، والأصحُّ أنّهم يدخلون الجنّة، ولكنْ درجاتهم دون درجات بني آدمَ في الجنّة، وهو اختيار أبي يوسف ومحمّد، وقال أبو حنيفة رحمه الله: إنّ الله قال في الجنّ: ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾،[١٦١] ولم يذكر دخولهم في الجنّة صريحًا فنتوقف فيه. ودليلهما قوله تعالى بعد ذكر الجنّة ونعيمها: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾،[١٦٢] والخطاب للإنس والجنّ. واختلفوا في السِّقْط هل يحشر أم لا، والصّحيح أنّه يُحْشَر لقوله عليه السلام: «إِنَّ السِّقْطَ لَيَقِفُ مُحْبَنْطِئًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، وَيَقُولُ: لَا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَعَ أَبَوَيَّ، أَيْ مُغْضَبًا».[١٦٣] ولا يَصِحُّ قول

---

[١٦٠] الطور، ٢١/٥٢.

[١٦١] الأحقاف، ٣١/٤٦.

[١٦٢] الرحمن، ١٣/٥٥.

[١٦٣] لم نجد هذا الحديث في مصادر الأحاديث المعتبرة.

الأشعرية: (إنّ صبيان الكفّار الذين عَلِمَ الله منهم الكفرَ لو بلغوا، يُعَذَّبونَ مع آبائهم في النار)، لأنّ هذا يفضي إلى القول بالتعذيب في الآخرة بلا جنايةٍ، وإنّه لا يجوز لِمَا ذكرنا.

فصل: [تجمع الأعضاء]

مَن قُطِعَ يده ثُمّ ارتدّ ومات على الكفر يعذّبُ يدُه والألم يصل إلى الرّوح وإلى النّفس الجانية، فيكون المُعَذَّبُ في الحقيقة هو الرّوح والنّفس لا اليد المجرّدةُ. ومَن أكلته السباعُ فإنّه يحشر على هيئته الكاملة، وتجمع أجزائه المتفرقة، وتُحشر مقطوعة اليد مع اليد سواءٌ كان مؤمنا في حال القطْع وارتدّ بعده أو على العكس. وجميع الكائنات حاضرةٌ في علم الله متفرقة ومجتمعة، وقدرته شاملةٌ على كلّ الممكنات، وأشار إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾،(١٦٤) وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.(١٦٥)

فصل: [الحشر]

تحشر البهائم والطيور وكلُّ شيء كان في الأحياء في الدنيا سواءٌ كان عاقلا أو غيرَ عاقلٍ، ويُحشر الجنّ والشياطين ودواب البرِّ والبحر، لكن للجنّ الثواب أو العقاب، والشياطين لهم العقاب فقط إلا من تاب منهم وأسلم. وتحشر الحيوانات ويقاد للشاة الجمّاء من الشاة القرناء، ويُطلب ممن ظلمها الإنصاف، ويكافئ لمن نفعها الله

---

(١٦٤) سورة ق، ٥٠/٤.

(١٦٥) يس، ٣٦/٧٩.

مُخلصًا بالثواب. ثمّ تعود الحيوانات تُرابا، وليس لها ثوابٌ من الجنّة ولا عقابٌ من جهنم، لأنّها لم تدخل تحت التكليف، بل خُلِقَتْ أتباعا للبشر والجنّ.

فصل: [الوزن حق]

كلّ من ليس له سيّئةٌ يدخُل الجنّة بلا حساب ولا عذاب ولا وزنٍ. وكلّ من ليس له حسنة يُسَاقُ إلى جهنّم بلا وزن، ويُنادى عليهم أنّهم أشقياءُ بشقاوة لا سعادةَ بعدها. ويبقى قسم آخَر وهم الذين خَلَطُوا عملا صالحا بالسيئة، فتُوزَنُ أعمالُهم الحسنةَ على صورٍ حِسَانٍ وأعمالهم القبيحةَ على صورٍ قباحٍ، فإنْ رجحتْ كفّة الحسنات يدخل الجنّة بلا حساب ولا عذاب؛ وإنْ رجحت كفّة السيئات فحكمه في مشيئة الله تعالى إنْ شاء يعذِّبه بقدر جنايته الراجحة ثم يدخل الجنّة ويُعطيه مثوبات أعماله الحسنة بقدر منزلته عند الله، وإمّا يعفو عنه بكرمه أو بشفاعة شفيع؛ وإنْ استوت الكفَّتان يحبس مدةً على الأعراف، ثم يدخل الجنّة برحمته على ما ورد في الأخبار وصحّ من أقوال المفسرين. وهذا الوزنُ لإظهار عدله وفضلِهِ تعالى لا لاحتياجه إلى التعرّف، لأنّ علمَه تعالى محيطٌ بالموجودات والمعدومات. وكذلك حكم الكتب والملائكة الكتبة.

فصل: [المخاصمات]

من مات ولم يُرضِ خصماه بوجهٍ من الوجوه المرضية يُحيط به خصماه في المحشر، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته وهذا

يتعلّق بتلبيبه وهذا يقول: (ظلمْتَنِي)، وهذا يقول: (شَتَمْتَنِي)، وهذا يقول:(استهزأتَنِي)، وهذا يقول: (ذكرْتنِي بسوءٍ). روى أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اَلْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَقَدْ شَتَمَ هٰذَا وَأَخَذَ مَالَ هٰذَا وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا، وَضَرَبَ هٰذَا، فَيُعْطَى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَا الْخُصَمَاءِ وطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ هُوَ فِي النَّارِ».[١٦٦]

فصل: [الصراط]

قال عليه السلام: «يَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ وَكَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ يَخْطَفُ النَّاسَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَعَلَى جَنْبَيْهِ مَلَائِكَةٌ يَقُولُونَ: اَللّٰهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الَّذِي يَعْدُو وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحِفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُوثَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَرْدَسُ ثُمَّ يَنْجُو وَكُلٌّ يُعْطَى نورًا بِقَدْرِ عَمَلِهِ، مِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهم يُعْطَى نورًا عَلَى قَدْرِ إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ فَيُضِيءُ مَرَّةً وَيَنْطَفِي مَرَّةً أُخْرَى».[١٦٧]

---

(١٦٦) الترمذي، السنن، صفة القيامة ٢، (رقم الحديث ٢٤١٨).

(١٦٧) البخاري، الصحيح، التوحيد ٢٤، (رقم الحديث ٧٠٠١).

فصل: [الحوض حقٌّ]

الحوض حقٌّ، قال عمرُ رضي الله عنه لَمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾،[١٦٨] قال عليه السلام: «هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، شَرَابُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ»،[١٦٩] وفي روايةٍ قال: «حَوْضِي مَا بَيْنَ عَدَنٍ إِلَى عُمَانِ الْبَلْقَاءِ». والجنّة حقّ والنّار حق، وهما مخلوقتان اليوم خلافًا للمعتزلة. وحجّتنا قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾،[١٧٠] وقوله ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾،[١٧١] في صفة الجنّة والنّار لا فناءَ لهما مع أهاليهما خلافا للجهميّة لقوله تعالى في حقّ الفريقَين: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾،[١٧٢] والجنّة الجسمانيّة والنّارُ الجسمانيّة حقٌّ، والباطنيّةُ والفلاسفة بإنكارهما كذّبوا الأنبياء عليهم السلام، والكُتب الإلهيّة النّاطقة بهما حقيقة.

فصل: [مقدرات]

العبادات وغيرُها من الخيرات ليست بموجبةٍ للسّعادة والدّخول في الجنّة، والمعاصي ليست بموجبة للشقاوة والدّخول في النّار، وإنّما السّعادة والدّخول في الجنّة والشّقاوةُ والدّخول في النّار برحمة

---

(١٦٨) الكوثر، ١/١٠٨.

(١٦٩) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ٢٥٧/٩ (رقم الحديث ٥٣٥٥).

(١٧٠) آل عمران، ١٣٣/٣.

(١٧١) البقرة، ٢٤/٢.

(١٧٢) النساء، ١٦٩/٤.

الله وعدله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾،[١٧٣] وقال عليه السلام: ﴿جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.[١٧٤] وَقَدْ حَكَمَ اللهُ تعالى بسعادة بعضٍ وبشقاوة بعضٍ في الأزل لا لعلّةٍ. والسَّعادةُ بالسعادة الأزليّة والشّقاوة بالإشقاء الأزليّ، وكلّ ميسّر لما خُلِقَ له، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾.[١٧٥]

***

---

(١٧٣) الأنبياء، ١٠١/٢١.

(١٧٤) الطبراني، المعجم الكبير، ٩٩/٢ (رقم الحديث ١٤٣٧).

(١٧٥) الليل، ٩٢/٥-١٠.

المصادر والمراجع

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، مح. مصطفى ديب البغا، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، سنن الدارقطني، مح. شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ – ٢٠٠٤.

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، مح. محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤ – ١٩٥٥.

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، مح. أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ – ١٩٩٥.

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، المعجم الكبير، مح. حمدي عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، مح. أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١- ٢٠٠٠.

أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، مح. محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية،؟.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ – ١٩٩٠.

أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي القزويني، سنن، مح. محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء الكتب العربية.

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، مح. أحمد محمد شاكر والى غيره، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٣٩٥ –١٩٧٥.

اسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مح. عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠.

الإمام أحمد بن حنبل، مسند، مح. شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤٢١- ٢٠٠١.

جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، مح. محمد عوامة، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر،١٤١٨-١٩٩٧.

عبد الرحمن جامي، نفحات الأنس، إسطنبول: دار معرفة،١٩٩٥.

عبد الله بن المبارك المروزي، الزهد والرقائق، النشر. حبيب الرحمن الأعظمي، الهند: ؟،١٩٦٦.

العقيدة الركنية

el-Akîdetü'r-Rükniyye

Rükneddin Ubeydullah

es-Semerkandî

◆

AKAİDİN TEMEL İLKELERİ

Neşir, Tercüme ve İnceleme

Mustafa Bacaksız

İstanbul - 2023

Kitabın Asıl Adı
el-Akîdetü'r-Rükniyye
fî Şerhi Lâ İlâhe İllallah Muhammedün Resûlullah

◆

Müellif
Rükneddîn Ubeydullah b. Muhammed b.
Abdülazîz es-Semerkandî

◆

Neşir, Tercüme ve İnceleme
Mustafa Bacaksız

◆

İç ve Kapak Tasarım
Berra Eslem
Talha Burak

◆

Isbn
978-605-7562-44-9

◆

Yayınevi Sertifika No
51260

◆

Baskı Sayısı ve Tarihi
1. Baskı / Aralık 2023

◆

Baskı
Lord Matbaa
Sertifika No: 45501
Maltepe Mah. Davutpaşa Cd.
Emintaş San. Sit. no: 103/430
Topkapı - Zeytinburnu / İstanbul

ŞAMİL
YAYINEVİ

Mehmet Akif Mh. Senem Sok. No:2/A
Çekmeköy / İstanbul T: 0216 642 42 50
www.samilyayinevi.com.tr

العقيدة الركنية

el-Akîdetü'r-Rükniyye

Rükneddin Ubeydullah
es-Semerkandî

◆

AKAİDİN TEMEL İLKELERİ

Neşir, Tercüme ve İnceleme
Mustafa Bacaksız